إلى القارئ

انه ليسوؤنا والله ان نرى الكثيرين من الادباء والمنسوبين الى الادب والثقافة ـ كلما سنحت فرصة او ضمهم مجلس ـ يرثون لحالة الادب التونسى ويندبون حظ المخطوطات التونسية الكثيرة وقد تراكم عليها غبار السنين وهى تنتظر النشر يسوؤنا ذلك ويسوؤنا ما ينتج عن هذا الموقف السلبى من تخاذل وتواكل وتشكك فى قيمة الادب التونسى وفى مستقبله ٠

ذلك اننا نؤمن بمجهود الاديب ونؤمن بان تادية رسالة الكلمة ضرب من الجهاد ، تقتضى العزم والصبر والمثابرة ، وهذا تاريخ الاداب الانسانية على ممر العصور يحدثنا عن قصة نضال الادباء من اجل الحياةوصراعهم لقوى الرجعية والتعصب وميت العادات ٠

كما نؤمن بان الاثر الادبى ـ شعرا كان ام نثرا ـ اذا بلغ من الجودة والاصالة والروعة الفنية ما يؤهله للوجود ـ لابد ان يفرض نفسه ويبرز للناس متحديا العقبـات ٠

فعوض ان يتباكى هؤلاء القوم بصورة تذكرنا نادبات العصور القديمة مالهم لايتقدمون للميدان بانتاجهم ويسعون له كى ينشر على صفحات مجلاتنـا او صحفنا اليومية والاسبوعية ؟ ومالهم لايشاركون فى المسابقات الادبية لقدماء الصادقية والبلدية وغيرهما والحال ان جوائز ذات بال قـد رصدت مما يمكن الفائزين من نشر مخطوطاتهـم الناجحة ؟ مـالهم لايضحون بشىء من رتـابة العيش التى غمرتهم ولايتخلصون من عنكبوت الكسل الذى حاطهم وحبب لهم التشاكى بدل الفعل والغصة عوض الكلمة ٠

الا ان يكونوا قـد اصيبوا بمركب النقص وكفروا بالادب التونسى نفسه واعتقدوا انه يجوز لهم ـ مندونانيخونوا رسالة الادب ـ انينظروا للاشياء بأعين غيرهم وأن يحسوها بوجدان غير وجدانهم ٠

ونحن لا نذهب مذهبهم وقد عرفنا القراء رودا لادب تونسى اصيل نناضل من اجل ان يتبلور ويعرفه الناس ويفيد منه الادب العربى والادب الانسانى على وجه العموم ٠٠٠

نناضل من اجل ادب تونسى اصيل الى جانب شعبنا الماجد فى معركته من اجل الوجود الاكمل ٠

ابو القاسم الشابي والشاعرية الحق

بقلم الشاذلي بوعيسى

مضى ربع قرن على وفاة ابى القاسم الشابى وما انفك شعره تردده الالسن بتونس وسائر البلاد العربية • وتصدر المجلات وقل ان تتوالى اعداد منهـا خالية من مقال حـول الشابى او قصيدة له تنشر • ونوادى الادب ومحلات السمر زين ما تتحلى به حديثها عن الشابى •

وما الفوز فى الشعر الا هذه السيرورة وانتشاره هذا الانتشار •

غير ان العلم لم يقل بعد قوله الفصل وكل ما كتب عن الشابى ليس الا مجرد اللهج بما فتن النـاس وهو ان دل عـلى شىء فعلى ان الشابى لم يزل مجهولا • فهل آن اوان البحث العلمى الصحيح الذى له وله وحده حق انزاله منزلته بين اعلام الادب العربى اولا والبشرى آخرا ؟

فلقد نشر « الديوان » وهذه اخبار الشابى فى متناول الباحثين غزيرة • وبيئته لم تبعد عنا صورتها •

لكن البحث النزيه يتطلب تقصى الاشعار والاخبار ونحن نعلم ان قصائد للشابى لم تنشر بعد وكذلك يومياته ومقطعات ورسائل • وممن عرفه من لم يـؤد بعد الشهادة • وكذلك فان العهد جد قريب لدراسة اثـره فى الادب والادباء • ثم ان العقبة الكأداء فى سبيل تناول هذا البحث التام عدم استقصاء الابحاث الجزئية شتى نواحى الشاعر وشعره •

فلا بد اذن من الانتظار ريثما تجتمع دراسات يفردها الباحثون كل فى وجهته التى له حتى يتسنى من جملتها وضع دراسة شاملة• (1)

ولئن قصدنا الى شىء من هذا الغرض المتـواضع فلنتساءل اولا مـا هو نصيب الشابى من الشاعرية الحق •

من شأن الشاعر الحق ان ينظر اليه من نواح ثـلاث قارة زيادة عما قـد يتصف به من خاصيات تتصل به وحده وتميزه من غيره فهو اولا شاعر قومه ووقفته هى تلك فيترنم بمعسول النشيد ولا يشعر اذ الشعر ليس شعره • طابع القوم والعصر لايفوت الباحث اثرهما فى شعر الشاعر :

---

(1) نشر الاستاذ عامر غديرة دراسة بمجلة « الفكر » (5 – 3 – ديسمبر 1959) تحت عنوان « محاولة جعل اطار لترجمة الشابى »

وبالمجلة الفرنسية ARABICA (6 – 3 – سبتمبر 1959) تحت عنوان « Essai d'une biographie d'Abû-l-Qàsim al-Sàbbi »

وابو القاسم الشابى ولد وعاش بتونس فى الفترة الحاسمة التى افاقت فيها امته الى معنى الحياة وبدات تتوق الى تحقيق ما تراءى اليها • فهى فترة اليقظة بما لليقظة من تمط وحرص ونهم واندفاع وما يصحب كـل ذلك من عطب وألم وانكسار :

وانظر الى شعره تر قفز الفتى وكبو المهزوم يخيم على كل ذلك امل بل ارادة جبارة فى ارادة الحياة

ثم ان الشاعر الحق انسان • هو احد المجموعة البشرية يتصف بصفاتها القارة السرمدية ويحس باحاسيسها • فلا تحول الحدود الاقليمية ولا الزمنية ولا اللغوية بينه وبين الالتحاق بجو المعانى البشرية الخالدة ، بذلك الجـوهر الانسانى الثابت الكامن فى العنصر البشرى • فهو هو على مـدى القـرون وتطور العقول :

وكم من قصيدة للشابى تتلوهـــا او تنتصت اليهـا فتسمـع من ورائها صدى اغانى شينيى Chénier او زفرات فاوصت Faust او تحرقات صافو Sapho • تسمع صوت شبابة الانسان البدائى وهى هى شبابة راعى فرجيل Virgile وهى هى شبابة راعى الشابى راعى جبـال خمير وراعى الـواحة والربى • وتنسى فلا تدرى ولا انت تريد ان تدرى اعربى ما تسمع ام فرنسى ام جرمانى ام يونانى • انت تسمع « اغنية الحياة » واغنية الحياة خالدة خلود النفس • خالصة خلوصها •

وبين القـومية والانسانية منزلة اذ جهلهـا الهوى فليس للباحث الفطن مجال لاغفالها وهى التى تجمع شعـراء من وراء قـوميتهم الضيقة فى نطاق مجموعة دون الانسانية بدرجـة هى مجموعة اقوام ضم شتاتهم التاريـخ او الاقليم او العنصر جنسيا كان او لغويا :

فشعراء الغرب الاروبى يؤلفون اسرة لاتفك اوصالهـا ضغائن الالمـان والفرنسيين ولا انزواء انكلترا بل ولا تطرف سكندينافيا فصلة ما بين مسرح اوربيد Euripide وراسين Racine جلية او تلك التى بـين مشاهد شكسبير Shakespeare وغوطا Gœthe وهوقو Hugo وروح اوسيان Ossian كم هبت خطراتها على شعراء المدرسة الرومنطيكية جنوبا • بل هل تستطيع فصل ما بين طلسطوى Tolstoï وزولا Zola

وكذلك لا اشك ان بين الصين واليابان ما ليس بينهما وبيننا من الوان التفكير والاحساس وكذلك قل فى مجموعات معدودات ان لم تكن متعددة اذ الكون يضيق وارجاؤه تقترب امام غزو الانسان المحتوم اياه •

ولعلك لو كنت بدات ففاجأتك بـان قلت لك ان الشابى شاعر عـربى اسلامى لسخرت او ظننتنى اسخر • اما الآن فأنت تنظر الى الشابى كما كنت

نظرت الى كل شاعر حق بمنظار ثالث هو الذى يجعله رغم ماله من العبقرية الفذة وماله من الانسانية الشاملة ينتمى الى اسرة تضمه والعراقى والمغربى واليمنى بل والاراني والتركى احيانا

فهو اذا رنت قيثارته اتاك منها انين « اللزوميات » وشذى « الرباعيات » واستيحاء جبران ثم تذكر انك سمعت لهذا صدى فى صادحات الازجال ·

وتخلص من قراءة قصيدة الشابى او قصائد فاذا ضمؤك الى رحيق الشعر الخالد قد شفى لانك انسان تريد لو رجعت او أرجعت الى انسانيتك المجردة الخالصة · واذا ما عطفت لديه على انات قوم واصطكاك جيل وجدت فى شعره شاهد الحق المبين · والى ذلك كله انت لاتعدم أهازيج الخليل ·

فها هو الشابى حينئذ شاعر تونس فى فترة من حياتهـا ،هى تلك التى عاشها الشابى فكان صوتها فى انينها وندائها وفخرها فهو شاعرها بلا منازع

ثم هو يوقع على قيثارة عربية هى تلك التى حبك اوتارها فحول ربيعـة ومضر وفطاحل العراق والشام وقرطبة والقيروان

وكذلك هو الشاعر الخالد الفذ المجرد عن المكان والزمان يرتفع من قيثارته لحن الخلود فلا لون له يميزه عن جيل من الاجيال او قطر من الاقطار بـل فى نغماته مناجاة الروح البشرية المطلقة ·

ابـو القـاسم الشابى شاعـر تـونس

تفتح الديوان ديوان الشابى فيتفتح عن حنين الشاعر « من وراء الظلام » الى « تونس الجميلة » يوم ترد الحياة لشعبها وشاح مجده · وها قد انار الصباح الذى شمته لوطنك « ولست هنا يا ابا القاسم » ·

بكيت لآلامها ورثيت لعذاب ابطالهـا لكن حبك لم يفقد الامل يومـا · فبكاؤك بكاء اباء الضيم وأملك امل اليقيـن وتنبؤك اوضح ما علمنا من رؤى الشعراء للوعد القريب ·

ذلك ان الشابى بحساسيته المعهودة لبس شعور قومه فكان فى نفسهاقصى ما كان فى انفسهم من ألم وأ مل يدمى قلبه المكلوم لكل جـرح اصاب قـومه وتشوفه الى الفوز القريب كان من يقين القادة الجبابرة لا من خيالات الاحـلام فلذا صدح فى قومه حاملا امامهم مشعل التضحية قائلا :

« لست انصاع لـلـواحى ولو مت وقامت على شبابى المنـاحة » وهكذا لايكتفى الشابى ان يكون بعبقريته مجرد شاهد لعصره بـل هو يحمل لـواء النضال مناديا « يا ابن امى » فى نشيده للحرية ودعوته الى كسر القيود تاركا للموت « كل شعب » ··· لم « يثأر للحق الجلى » · ويقودهم ببث الحماس فى جاشهم بوعيده المدهش « الى الطاغية » حيث يتكهن بما رأته اعيننا نحن بعد موته عندما يقول :

« اذا حطم المستعبـدون قيـودهم * وصبـوا حميم السخط ايان تعلـم »
« والى طغاة العالم » يقول :« حذار ! فتحت الرماد اللهيب » وينبئهم « بزئير العـاصفة »

ولئن تنبأ فهز قومه بالوعد واتجه الى الطغاة بالوعيد فلطالما تفطر قلبه لعجز الشعب وقعوده عن النهوض وعبادته الامس · ونـداؤه « الى الشعب » قد لايسمع فهو « النبى المجهول » فى ياسه وسخطه معزرا تارة قائلا :

ايها الشعب ليتنى كنت حطابـا * فأهـوى عـلى الجـذوع بفأسى··
يائسا تارة اخرى فيقول :

اننى ذاهب الى الغـاب ياشعبـى * لأقضى الحيـاة وحـدى بيـأس
الا انه لايفتأ يرشد الى « سر النهوض »

نرى اذن عند الشابى نضالا صادقا مستميتا هو نضال الشعب بل نضال قادة الشعب وزعمائه ثم هو شاعر القوم ينير السبيل ويهدى ويهز الحماس ويقود العزائم وينعى على الطاغية عماه ويبشر بكسر القيود وانفجار مـوج الحياة · ويرتفع صوته فوق ساحات الوغى مستفزا للابطال وئيدا على الخصوم مترنما بجمال الغد السعيد :

فما علمنا منذ احقاب كشعره للنضال لسانا

والشاعر المناضل انما هو جزء من الشاعر القومى ليس الا وعبقرية المناضل وحدها ليست فى ميدان الادب كل العبقرية فهناك النضال نعم ولكن هناك ايضا حياة القوم وتـربة الـوطن وسماء البلاد وسحب الجبـال · فكم احب الشابى العيش بين هاتيك الربوع فتغنى بجمال الواحة وحبب الينا بمسحور شعره وارف ظلالها وخرير جداولها والعاب الاطفال بين كثبانها ·

وبتونس الواحات لكن بها الجبل والغاب ولست ادرى اجدة الجديد خلبت مشاعر الشابى ام هى طبيعة نفسه ومزاجه جذبته نحو غيوم الشمال وبرود الجبال فههنا كان عنده الانتشاء وههنا التجأ من الملل والسقام وههنا جنى من العيش لذيذ اجتناء واوحت له غابات « عين دراهم » وجبالها واغانى رعاتهـا وثغاء القطعان بمروجها وسيولها وورودها وطيورها وسحبها ما لا نعلم لـه مثيلا مما اوحته طبيعة اقطار العرب لشعرائها ·

كم رايت فى نظرات شباننا تطلعا لاثر وحى الطبيعة فى شعر شعرائنا لو استطاع الاستاذ يوما ان يبشرهم به فى ما يدرسون من تراث ادبهم · وعبثا يحاول ويحاولون فى بحثهم فالطبيعة خرساء لكن ها هو ذا الشابى انطقهـا لانها ارضعته فلذ له طعم البانها · ثم ان الباحث قد يحجم عن الحكم او البت فى الحكم لان « ديوان » الشابى ليس الا منتوج عمر قصير فماذا كان يكـون لـو اتيح الى الشاعر بقاء طويل ؟ فلا يسعنا الا البناء على ما بين ايدينا ومابين ايدينا لـه شأن كبير ·

افنعجب بعد هذا لاقامة قومه المحافل لمر نصف قرن على ولادته وربع على وفاته ؟ بل هل من عجب ان اسلفنا ان النوادى لاتفتأ تـردد صداه والمجلات لاتخلو من ذكره مذ ذوى غصنه وما دام بهذه البلاد نواد ومجلات ؟

اجل ! ان فى ذلك فخر القـوم بنبوغ الشاعر بينهم والفخر قـديم عند العرب وعبقرية الشابى ذات مدى يحق معه لقومه الفخر الكبير

غير انى ارى مـع هذا الشعـور بالحمية والاعتزاز القومى وفـوق ذلك الابتهاج بصحيح العبقرية والنبوغ الفذ والشاعرية الحق نوعا من الانس من شعب ضمئان الى من روى لغبه وشفى غليله • ففيه راى رمزه وفى صوته تبين نجواه وفى شدواته عرف خلجات روحه • فأحبه فهل من ملوم فى هواه؟

الشابى شاعـر عـربى

هى صفة لعلها اقل مايظهر من صفات الشابى • فلا هو عنترة ولا امرؤ القيس ولا كبير شبه بينه وبين جرير او المتنبى بل قل ان تجد عنده ما لحافظ او الرصافى من صدى نظيم العرب

فلا معانيه معانيهم ولا سبيله سبيلهم • وقـد يلتقى بهم لكن فى عـالم الانسانية المطلقة حيث لا هم عرب ولا هو

ويكاد يكون هذا الانفصال انفصاما صارما وقد تظنه صدا تهم الاعلان عنه فى حملته على « خيالهم الشعرى » لو لم يستوقفك منه اللسان ولون البيان

فللغة عند الشابى اوفى نصيب فى ما لشعره من السحر والكمال يردد على مسامعنا مئاسى الزمن فلا يصدنا عن الشجى ذكر وصفهـا عند المعرى او « ملطن » Milton ويرقصنا على رنات اغانى الحياة فنندفع فى المروج نشاوى كأن لم نرقص مع ابى نواس او مع رونصار Ronsard

وسر هذا سحر الكلم • ولم يكن ليكفى لو انحصر فى البلاغة والتبحر نكن الشابى جدد لغته وبعث العربية بعثا اعنى انه اتخذ منهـا مادة كيفهـا ولونها حتى تكون له الآلة فاصطبغت العربية عنده بصبغة هى صبغته وولد واختار وماز ونفخ فى اللفظ فصار لفظه واحدث فى العربية ما لا نخجل ان نسميه ثورة وان كان لها بعض الرواد

والتجديد عند الشابى تجديد دون كفر بالقديم فالوزن والقافية والبلاغة والبيان بل والنحو واللغة كذلك يحترمه الشابى مع انطلاقه فىجو التجديد القويم تجديد القوى النادر لا العاجز الملتوى فأنت تشعر بالجديد الطريف دون ان تقطع بك الصلة بالفحول القدماء • والبون شاسع كبير بينه وبين كثير ممن يدعى التجديد وما تجديدهم الا عجز عن البليغ الصحيح

واعجب ما يتجلى لدارس لغة الشابى انها بليغة الى اقصى حد البلاغة جزلة زاخرة بالمعنى المتدفق الى حد الفيضان عن اللفظ تفيد ثم تزيد فتفتح امام الوهم آفاق التوليد والخيال وبهذا تتجاوز البلاغة المعهودة الى حيز الايحاء ومع هذا كله فلا تكلف ولا افتتان بالغريب ولاسعى وراء الزخرف وتجميل المبنى والتركيب اذ اللفظ عادى بسيط وسياق النظم يماشى الطبع طبع فصحاء العرب ولا يشذ عن مألوف العادة او مفروض العقل • وقد تقول بل ان هذا هو البلاغة • أجل • ولكن من اين السحر ؟ والبلاغة ـ ما علمنا ـ ليست كل اسرار **الافتتان ؟**

لعلنا هنا نلمس ظاهرة من ابرز صفات شعر الشابى وان خفيت عن كثير ممن كتب فى شعر الشابى وقال • بل ولعلنا نصل الى اهم عنصر من عناصر شاعرية الشابى اذ له هو اوفر نصيب فى بلوغ هذا الشعر الى العبقرية•ذلك ان النبوغ عند الشابى ليس اساسه سعة الخيال فغيره فى اختراق آفاق الوهم كثير • ولا التفرد بالحساسية وان كانت عنده اشد ما تكون مرهفة ولابسط الحقائق واصابة الحكمة ولا النفاذ الى اسرار الكون او الوجود • **ليس اساس** نبوغه هذا كله وان شارك هذا كله فى النبوغ **غير انك تجد من** بين قدماء **فحول** الشعراء ومحدثيهم من قد **يجمع** كل هذا او **اكثر او اقل الا إنك لاتجد** لشعره فى نفسك **صدى كالذى لشعر** الشابى **فحتم على** الباحث اذن ان يلفت نظره الى غير هذا حاسبا لكل خصلة من تلك الخصال حسابها ـ طبعا • ولا يبعدن عما نحن بصدد ذكره اذ سر هذه العبقرية ـ عندى ـ فى اللغة على ما اسلفنا من ان البلاغة ليست كل سر الافتتان ولا الغرابة ولا السهولة •

فماذا اذن ؟

ليس جوابنا بتعديد صفات فى هذه اللغة وهذا الاسلوب • فلا الامر فى الاحصاء الكبير ولا هو فى التحليل والحجاج انما هو فى التنبيه الى حال نفسية تعترى السامع لشعر الشابى وتحصل له من عوامل شتى اهم مافيها : **اللغة •**

وهذه الحال هى تلك التى يطلق عليها « بول فلرى » Paul Valéry عبارة « الحال الشعرية » اى الحال التى يصل اليها السامع ـ او القارىء ـ من سماع شعر ما ـ او قراءته ـ الى درجة التفتح بكليته الى هذا الشعر كتفتح الارض الى ماء السماء • عندئذ يكون المرء فى الحال الشعرية • ولعل هذا هو الذى يقصد اليه العرب بقولهم « السحر »

ولا يصدننا هول كلمة السحر عن محاولة بيان محتواها وقد خطونا فى سبيل ذلك **خطوة حاسمة**

فاذن مم هذه الحال الشعرية او ان شئنا ما هو هذا السحر الذى منه تنتج الحال الشعرية ؟

ولئن اقتصرنا هنا على تحليل ما يمتاز به السحر عند الشابى فلا يفوتنك عوامل عديدة قد لاتهمنا الا أنها تشارك عند جميع الشعراء على احداث الحال الشعرية • وما تعليل ابن قتيبة وابن رشيق وغيرهما لابتداء مقصد القصيد بالنسيب المحبب للنفوس الا تفطن من نقاد العرب الى هذا الذى نسميه بالحال الشعرية ولعل توقيعات الموسيقيين قبل الشروع فى الغناء من هذا القبيل ايضا ومنه دور القافية او السجعة والوزن والحرجة وهلم جرا

ويتفنن فى ذلك الفنانون ويخطئون فيه ويصيبون وقد يبرز الفحل منهم ويمتاز وتكون له أساليب هى ليست اساليبهم

ولئن تشارك جميع كتاب العربية وشعرائها فى استغلال ما للغتهم من رنة ومرونة واستعداد طبيعى لملك الاسماع وهدهدة النفس وبعثها على الشجى • فالنجاح فى ذلك يختلف عندهم ويتفاوت تفاوتهم فى العبقرية وهو ما يجعل الشاعر شاعرا حقا ويميزه عن الشويعر النظام

ولقد أبدع فى ذلك المعرى ماشاء وقل من فطن الى موطن النبوغ الحق عنده وكذلك جماعة من بينهم الشابى

الا ان المادة الواحدة يجعل منها كل شاعر آلة خاصة به يصيغ بها شعرا هو شعره لذا فنبوغ الشابى غير نبوغ المعرى وان اتفقا فى موطن من مواطن النبوغ • وقل مثل ذلك فى غيرهما •

والآن دونك شعر الشابى واقرأه او استمع اليه ولا تنس ما أنبئت وتتبع القصيد والقصائد والبيت والفقرة والجملة واللفظ تر لغة خاصة او ان شئت تناولا للغة خاصا هو للشابى ولعله له وحده .

ودعك من السؤال هل اراد ذلك وسعى اليه أم هو فطرته وعنوان النبوغ فأنت مستمع فاستمع واستمتع

لفظ عادى يكاد يكون من لغة التخاطب بساطة وانتشارا يأخذه الشابى ويكسوه كسوة غير مألوفة الا انها ليست غريبة فيحلو بها فى مسمعك ودونه اللفظ المألوف • أفطنت الى سر « المرج الخضير » هو لانه ليس المرج الاخضر • وتتبعه فى صيغ الصفة عنده وعطفه على كل ما جاء على فعيل

رفعول وفعال تنتبه الى ان اللفظ صوت عند الشابى بعد كونه معنى ويتخذ منه نغما ويلقيه لكن بين انيسه من اللفظ والنغم

وهنا تصل الى عنصر ثالث من شاعريته هو انسجام اللفظ مع اللفظ فى جوار خصيب من حيث المعانى يولدها بمجرد وجوده لذيذ من حيث النبرات يؤلف بينها نغمة ونشيدا • ويائه ما أدراه بها غنيمة يقف عندها بعرفـــة تكاد تكون العرافة فيلقى بها الفاظ تتلو الالفاظ وتكثر ويطول بذرهـــا ــ وتحللها فلا تجد كبير مبرر لوجودها • لكن الشعر غير المنطق • فان لـم يرض المعلم فقد رضى الهواة • وأرى للشابى مقدرة جبارة غريبة على تنسيق الكلام وتأليفه حتى يصير موسيقى لانهائية تنبو عن القواعد كما هى نشأت عن غير مفروض البلاغة

وهب انك لم تهتد الى مغزى قصيدة او مدلول لفظ أو عبارة فلا تعـــدم ما يسميه الجاحظ الشجى •

أرأيت قريشا فهمت من القرآن ما قضى المفسرون احقابا فى توضيحـــه وشرحه فئامنت لاقتناعها بما حواه من حكمة وحق مبين أم هى آمنـــت خشوعا لما سمعت من كلام كالسحر نسيق ؟ ومن قبل كان لهذيان الكهـان عليها سلطان كبير ولم يزل للكلام على العرب الوقع الخطير ولن يزال •

وجنى الشابى من هذا الحقل الخصيب وحصد مالم يتح للكثير من شعراء العربية الا انه غرف مما يغرفون وبهذا يتبوا الشابى رغم انفلاته الى عالـم الشعر الانسانى الخالد ورغم التحامه بموطنه التونسى الصغير مقعدا بين فحول الشعر العربى •

الشابى شاعـــــر الانسانيـــة

لانؤمن بالالتزام صورة للفن او الفكر الا اذا اقتصر على ان يكون ثوبـــا شفافا ترى من ورائه الانسان انسانا وترى من خلاله للحياة مثالا

والانسان خالد فى جوهره والحياة حياة فى ذاتها ومـا الالتـــزام الا درن عليهما يزول زوال العارض عن الجوهر الحر

ونؤمن بأن الادب حياة والحياة أمل واسى وغناء وبكاء

فمن هنـا تختبر الشابى حتى تـرى نصيبـه من الشعر الخالد ومقامه فى عليين ان كتب للشعراء المقام بعليين

أما الجمهور فقد نطق وقال قوله فتغنى بأبيات الشابى بيانا لما فى نفسه من خالص الانسانية المجردة عن الوطن والزمن واخترقت قصائده محيطها التونسى بل العربى ونظر اليها مهتما رجل الغرب ورجل الشرق

اصحيح ما جاءنا من الانباء أن نشيد اليابان الوطنى الجديد ضم من بين ابياته بيت الشابى الذى ضمه نشيد وطنى تونسى فى ارادة الحياة ؟ فيتجاوب الوطنى التونسى اذن والوطنى اليابانى من وراء الفضاء الشاسع فى صمود الانسان فى وجه القدر عندما يرددان :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ويتصفح العالم المنقب ديوان الشابى فاذا هو يورق صفحات الحياة تتوالى أمام عينيه ناطقة أسماء قصائدها بمشاكل الانسان والكون والكيان :

فهذه قصيدة اسمها « الحياة » وهذه « نظرة فى الحياة » وأخرى « الى الموت » و « ياموت » و « فى ظل وادى الموت » و « الدنيا الميتة » : وهل شغل الانسان شيء كما شغله مشكل الوجود والعدم ؟

ثم ههنا « الدموع » و « شجون » و « شكوى اليتيم » و « اغنية الاحزان » و « قيود الاحلام » و « نشيد الاسى » و « الجنة الضائعة »

فقل لى بربك أما تربى أشواك الحياة على أزهارها ؟

وتقرأ تضرع الانسان واستجوابه فى « قال قلبى للاله » و « الى الله » و « صوت من السماء » وترنو أنت معه الى « الصباح الجديد » أملا منك فى ما وراء الحياة بعد صمت القدر عن غصتك والانسان فى هذه الدار ليس لغصته انتهاء :

كلها صور لمأساة الانسان الخالدة · لالم الوجود وانكسار الامل وحيرة الفكر

لكن لاتتسرع تسرع من نادى بتشاؤم الشابى وهم — ياللاسف — كثير · فكيف تنفى الرجاء والامل ولذة الحياة عن شاعر خلد أغانى الحب والعطف والامل بل وصولة القوى الجبار ؟

أين التشاؤم بل أين اليأس اذا قرات قصيدة « الحب » فاقرأها

وهذه قصيدة « أيها الحب » وتستمع الى « صلوات فى هيكل الحب » فترى عبادة لاخلص ما تنطوى عليه الحياة · بل هو ذا يعطف على الطفولة الطاهرة

رمز الامل والغد الجميل وينطفىء لهيب الشجون فى حنو الام فيتغنى به فى « قلب الام » و « حرم الامومة »

بل · بل وله « المجد » وله « نشيد الجبار » وله « ارادة الحياة » خرسا لمن قال بتشاؤم الشابى بعد هذا ولم يتل قوله :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا قوله :

سأعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء

فماذا اذن؟ أفلسفة هناك ؟ وما هى ؟ وما ثمارها ·

ليس هناك فلسفة · انما هناك استجواب بل استفهام الكون والوجود

وهناك أنشودة الامل الخالدة والتغنى بعذب الحياة وقفز الانسان وكفاحه وعدم انصياعه الى اليأس المميت وايمانه بالقوة وارادته الجبارة للحياة ــ وان كانت الحياة من وراء الموت والنشور من وراء القرون والضياء من وراء الظلام

واذا ما شاك طريق الحياة فكم قطف فيه الشابى من زهرة وكم رقص فيه مع النسيم يداعبه الضياء فى طهر الوجود :

··· « سوف يأتى ربيع ان تقضى ربيع »

ولم يأت الشابى لهذا التناقض وهذه المشاكل بحل وليس له ان يفعل فهو شاهد الانسانية بل هو الشهادة امام الوجود الصامت عن رد الجواب

ولذلك اعتبر شعره أغنية من اغانى الدهور

ولئن زخر ديوانه بالمعانى البشرية العامة مما هو فى متناول كل انسان لانها فى خلد كل انسان فالشاعر الحق من استطاع الاعراب عنها وجوهرتها وابرازها فى صيغتها التى تكتب لها الخلود ثم جعلها حية تنفذ الى قلب الانسان فتهيج فى النفس أسرارها · اذ هذا هو الفن

وقف الشابى أمام الوجود والقدر تلك الوقفة التى يود « الانسان » لو استطاعها : فبكى بكاء الانسان وضحك ضحكته وسأل سؤاله وخاب خيبته وثار ثورته ولعن لعنته وانصرف · وكذلك يموت انسان ويجىء انسان ووقفته هى تلك فيترنم بمعسول النشيد ولا يشعر ان الشعر ليس شعره · فأنت الشابى والشابى أنت فى ساعات نجواك

المعراج

بقلم احمد المختار الوزير

قال لي صاحبي، وقد سكن الليلُ،
وغشّى النجومَ سودُ الدُّجُونِ

قال: هيّا لقتل هذي المآسي
قال: هيّا لقتل هذي الشُّجُون

سِرْ بنا، سِرْ، فما أُطيقُ بقاءً،
بَيْنَ رَيْبٍ مُمَزِّقٍ، ويقين

كم شقينا، وكم شرقنا بِدَمْعٍ،
وعصرنا قلوبنا لدفين

كم جهلنا، فما حياةٌ، وما كَوْنٌ
خيالٌ، من زُخْرُفِ التَّلْوين

عَمَهٌ غَيْنُنَا، واسطورةُ الماضي
ضلال، من زائف التَّخْمين

قال: هَيّا لباطل حبذا الباطلُ
دِيني، اذا سَعِدتُ بديني

سرٌ أخي ، سرٌ بنا لحانٍ قصيّ
لغناء ، لراقصات اللُّحون

لجنيٍّ ، من القرنفل ، والورد ،
لغضّ الرَّيحان ، والياسمين

لكؤوسٍ نحثُّها ، من رحيقٍ
لدنانٍ مختومةٍ من قرونِ

لارتضابٍ ، لنشوةٍ ، لفنونٍ
ضاحكاتٍ ، من فرحةٍ ، وجنونِ

لصبايا منغّماتٍ عليهن
شفيفٌ يزلّ فوق المتونِ

لرسيلٍ ، من الذوائب ، ما أحلاه
يسهفو على ضياء الجبين

لطيوف الاحلام ، نشوى ، على الهُدبِ
نسحرٍ ، من زُرقِ تلك العيونِ

لنهودٍ ترنّحت ، في شموخٍ
لخدودٍ ، لرعشةٍ ، في الجفون

لثغورٍ تبسمتْ عن أقاحٍ ،
لعَبيرٍ من الشّفاهِ الجُنونِ

قال : هيّا اضمّةٍ لعِناقٍ
لسكونٍ ، لِوَشْوَشاتِ سُكُونِ

للتفافٍ ، لرقصةٍ ، لخدينٍ
يتثنّى ، يَشُدُّ خَصْرَ خَدينِ

لضاء الفتيلِ ، يَزهو نَحيلا ،
مِثْلَ سِرٍّ مُحَجَّبٍ مَكْنُونِ

لا تَمَهّلْ ، فما أضعتَ الينا
بَلحنٍ ، ونشوةٍ ، وفتونِ

❀❀❀

ومَشَيْنَا ، وقد عَقَدْنا ذراعَيْنا ،
وجَنْباً لجنبه يُدْنيني

ومشينا ، وفي الطريق كلاب
عن شِمالٍ نُباحها ، ويمين

ومشينا ، ولم نُعَرّجْ فأين الحانُ ،
أيْنَ ، من نَظْرةِ المستبين

لَهْفَ نفسي ، لقد جَهِدتُ ، من السَّيْرِ ، بخطوٍ مُعثَّرٍ مَوْهُونِ

وَوَقَفنا أمامَ بابٍ عتيقٍ وعَجُوزٍ كَهْرورةٍ حَيْزَبُونِ

لَفَّهَا الليلُ ، والسكونُ وخَيْطٌ من ضياءٍ مُرَعَّشٍ مَحْزُونِ

أيُّ شَيْبٍ مُجَعَّدٍ ، أيُّ وَجْهٍ حامِضٍ ، كالحٍ ، وأيُّ غُضُونِ

أيُّ هُدْبٍ مُنَصَّلٍ ، من شِفارٍ وجفونٍ لغمَّضتْ عن هتونِ

أيُّ صَدْرٍ مُخَدَّدٍ ، أيُّ أضلاعٍ عِجَافٍ تَقَوَّسَتْ عَن وَتِينِ

وقَفَتْ ، دُونَ بَابِهَا ، مثلَ بُومٍ جَثَمَتْ ، في الظلام ، دُونَ الوُكُونِ

❀❀❀

ثُمَّ قالت ، وقد نَظَرْنَا اليها ، في انعطاف مؤانِسٍ ، وَرُكُونِ

ذهبَ الحانُ ، انّني ربّةُ الحانِ
قديماً وذاكَ بعضُ شؤوني

ذهبَ الحانُ ، والشبابُ ، وحطّمتُ
كؤوسي ، على ضلالِ السّنين

كم دموعٍ أبحتُها ، لم يكفكفْها
وسادي ، ولا رثى لعيوني

كم تخشّعْتُ ، في ظلامي ، وكم أقصيْتُ
عنّي خداعَ زيفِ الظنون

وطويْتُ الأسى ، ولملمْتُ جرحي
بالقلبي ، من رجفةِ المطعون

كنت كالطفل لا أديمُ قراراً
ليس شيءٌ ، من لعبتي ، يُرضيني

ملّ كأسي الخمورَ ، ملّتْ شفاهي
بسماتي لعابثٍ مأفونِ

فاتركاني - أسعدتما - لحياتي
لوجودِ جمالُه يُغريني

انا أحْيَا لفرحة الحب، في أعماق
قلبي بفَكّ قيدِ الرّهينِ

أنا أحيا لثاكلٍ ليتيمٍ
لمريضٍ ، لجاهلٍ ، لغَبِينِ

أنا أحيا لجائع يقطع الدربَ
يساعِي هذى الكلابَ لدُونِ

أنا أحيا للحب ، كم في حياة
الحبّ أغْنَى بنشوة وفُنُونِ

❀❀❀

ونظرنا لوجهها ، فاذا الوجه
ضياء مشعشع من يقينِ

واذا البسمةُ السّخِيّة اشراق
لفجْرٍ ، وسلسل من مَعِين

واذا الكون ، حولها ، يتحَدى،
في اتساعٍ ، مجالَ هذي العُيون

وَطَوَيْنَا ظلامنا ، وَطَوَيْنَا
الليلَ نصْغى لقصة الحَيزبون

صور غريبة للشابي

بقلم محمد المليوي

ان الذين كتبوا عن حياة الشابى وشعره كثيرون ، وهم يختلفون فى تقدير أدبه وتفسير شعره وفهم شخصيته ، وما منهم الا وأظهره فى صورة تختلف عن صورة الآخر تبعا لمزاج الناقد ومقاييسه وعدته فى البحث والدرس ، ولكنهم متفقون جميعا على ان الشابى شاعر كبير ظفر بـه الادب العربى المعاصـر فأغناه بروائع خالدة على وجه الدهر مابقى فى العربية من يتذوق الشعـر الرفيع والادب الراقى • ولكن ناقدا من هؤلاء الدارسين لحياة الشابى وشعره قد اخرج لنا منه صورة غريبة ننكر فيها كل الملامح والمميزات التى ذكرهـا للشابى • ونعجب كيف تصدر عن رجل تعد مؤلفاته بالعشرات يكتب فوقها انه دكتور فى الفلسفة ، وعضو فى المجمع العلمى بمدينة كذا وفى جمعيـة البحوث الاسلامية بقطر كذا ، وأعنى به الدكتور عمر فروخ ، فقد اخرج هذا المؤلف فى سنة 1954 كتابا بعنوان « شاعران معاصران » قارن فيه بين الشاعر الفلسطينى ابـراهيم طـوقـان وبـين الشابى فخصه بـدراسة استغـرقت حـوالى المـائة صفحـة ولكنهـا كـانت مليئـة بالاوهـام والاخطـاء وسـوء الفهـم والاستنتاج ، والمزاعـم التى لا اساس لها ••• مـع ان المصادر التى استخدمها لدراسة الشابى كانت كافية لاعطائه صورة صادقة عن الشاعـر لو أراد ان يقرأ شعره قراءة تدبر وامعان وان يقارن النصوص وتواريخها فى شىء من الاناة والصبر

وقد كنت قرأت هذا الكتاب حين صدوره ورأيت مافيه من التحامل عـلى الشابى وعزمت على نقده وتفنيد بعض ماجاء فيـه من الدعـاوى ، ولكننـى ـ للاسف ـ صرفت عن ذلك بشواغل اخرى •

وهانحن نتعرض أولا للصورة التى قدمها الدكتور فروخ للشابى نستخرجها ـ بقدر الامكان ـ من كلامه وبلفظه • فالشابى عنده شخصية عجيبة فـذه مضطربة عاجزة ، ولكنها طموح كونتها أربعة عناصر أساسية كلها متنافـرة هى فقره ومرضه وتبحره فى الآداب العربية • ثم حال بلده تونس فى البؤس الاجتماعى ولكنه عاد فى موضع آخر وانكر هذا التبحر فى الآداب فقـال : انه لايرى فى شعر الشابى أثرا لثقافة واسعة ـ كما انكر وطنية الشابى فقال (ص 169) والشابى شاعر ناقم ، يزعم انه يريد ان يؤدى رسالة ولكنه فى الحقيقة يحمل معولا ليهدم به كل شىء • الحياة والناس والبلاد والوطن والامة « واخيرا يزعم ان ما ابداه الشابى فى شعره من الحزن والتشاؤم اثار فى نفس القراء شيئا من الاشفـاق على الشاعر وحمل كثيرا منهم ومن الدارسين عـلى اعطائـــه من المقام الادبى أكبر من حقه • ومعنى هذا أن مقام الشابى الادبى

كان أكثر من حقه وانه قد ناله بدافع الرحمة والاشفاق من طرف القراء والدارسين لان من لقى مثله ـ حسب تعبيره • « عذابا حقيقيا في حياته القصيرة يستدر العطف والاشفاق » ثم يموت والد الشاعر فيتعرض الابن للبؤس وعيشة الضنك ويعضه الفقر بنابه لان أباه لم يكن غنيا ـ ونحن نقول له : من اين لك بهذا ؟ ومن الذي اخبرك ببؤس الشابي وعيشه الضنك وفقر ابيه ؟

أما مرضه فلا يقنع برواية مواطنه أبي القاسم كرو الذي ذكر انه اصيب بداء تضخم القلب فراح يستشهد باقوال نكرة من نكرات مصر انتهب قصائد الشابي المنشورة بمجلة « ابولو » ونشرها في كتاب غفل من التاريخ أسماه « الروائع لشعراء الجيل » وادعى في مقدمته ان الداء أنشب أظفاره بصدر الشاعر ويعني بذلك أن المرض كان مرض السل الرئوي • فنسج الناقد من ذلك اسطورة مهد لها بقوله : لايزال الشرقيون الى اليوم يحرصون على كتمان ما ينزل بهم من الامراض الوبيلة واذا هم اعترفوا أمام الآخرين باصابتهم او اصابة ذويهم باحد هذه الامراض فانهم يكتمون عادة اسم المرض وعلى هذا الاساس لحق الغموض باسم المرض الذي نزل بالشابي • ثم يبالغ الدكتور فروخ في نتائج هذا المرض على حياة الشابي فيزعم أنه أثر في اتجاهه في الحياة وفي الشعر كما يزعم أن احوال الشابي المادية وحالته النفسية لم تمكنه من احتمال نفقات العلاج ، والاخلاد الى الراحة التامة • لذلك كان موته منتظرا في كل حين « ونقول للدكتور مرة أخرى من اين لك بهذا وفي أي كتاب قرأته ؟ ان الشابي لم يكن رجلا مريضا في كل حياته بل كان بدء شكواه من المرض في السنوات الاخيرة من حياته ، أي بعد وفاة والده على وجه التحديد ، ولم يكن فقيرا بالوجه الذي ذهب اليه الناقد فالمعروف ان اسرة الشابي كانت اسرة ميسورة العيش وكانت لها بعض الغلات في الجريد وبعض الاراضي بجهة مجاز الباب على ما اعتقد • ولم يذكر من ترجم له انه كان عاجزا عن احتمال نفقات العلاج أو غيرها من النفقات

ثم يتحدث الدكتور فروخ عن حياة الشابي الزوجية وعن حبه الاول فيخلط في ذلك خلطا عجيبا ويدعي دعاوى ليس له عليها من برهان أو حجة • واستمع اليه يتحدث عن ذلك : « ويتضح لنا من دراسة حياته وشعره ان زواجه لم يكن موفقا وانه لم يكن وادعا سعيدا في حياته الزوجية •• وهاته الحياة الزوجية البائسة اليائسة في احدى نواحيها دفعت الشابي قبل ان يمضي العام الاول على زواجه الى تطلب سعادة موهومة في حب فتاة ظن فيها تحقيق أحلامه ، لكن هاته الفتاة توفيت وشيكا في العام الذي أحبها فيه فاذكى ذلك في نفسه الاسى على حاله ، والنقمة على حوادث الدهر ، وظل الشابي يذكر حبه هذا مدة ثم جعل ينساه أو يحمل نفسه على نسيانه وسرعان ما اطاعته نفسه فتناسى حبه الاول وانتقل الى حب جديد ثم الى آخر فئاخر • ويبدون لنا شعر الشابي مواقف من الحب توحي بانه قد اندفع مع عاطفته وراء المرأة لايلوي على شيء •• ولاريب أن هذا الاندفاع كان سببا من الاسباب التي قربت منيته اليه مع أنه كان يستطيع ان يحيا مع دائه كما عاش

غيره مع ادوائهم ٠ ولكن القضاء النافذ والقاءه بيده-الى التهلكه كانا عليـــه كتابا موقوتا » اه

وبمناسبة حديثه عن قصيد (صلوات فى هيكل الحب) يقول اننا نرى فى هذا القصيد حبا جديدا لفتاة جديدة فى حياة الشاعر ويعارض ابـا القـاسم كرو الذى يرى أن هذا القصيد قاله الشابى فى فتاته الاولى ٠٠ وبعد ان يورد بعض القصائد الغزلية الاخرى يتهم الشابى بأنه لم يكتف بحبه الاول بــل احب واغـرق فى حبـه ومجن ونشـر مجونـه فى عدد من قصائده المتأخرة ، وأنه لايرى غرابة فى ذلك لان كثيرا من الذين أحبوا حبا صادقا ثم أصابتهـم صدمـة فى حبهم هذا ، قـد انقلبوا منغمسين فى الملـذات ضالين فى شعاب الهوى ، متهتكين ثم قال « ويبدو أن الشابى كان من هؤلاء ٠ »

فهل رأيتم ، بربكم ظلما أكبر من هذا الظلم ٠٠ الشابى صاحب المثل العليا فى الحب والذى عاش فى وسط محافظ يحرص على تقاليد العفـة والشرف ، الشابى صاحب قصيد « صلوات فى هيكل الحب » ٠ ينقلب عنـد الدكتـور فروخ شاعرا ماجنا متهتكا متهالكا على اللذة ، ضالا فى شعـاب الهـوى لان الدكتور الفيلسوف طبق على الشاعر نظرية العوامل النفسية عند من احبوا حبا فاشلا فأنتجت له هاته النتيجة الباهرة

كل هذا لايخرج عن الاستنتاج العقيم والرجم بالظنون

اما حقيقة الامر فهى ان الشابى كان فى سنة 1924 شابا فى الخامسة عشرة من عمره وكان قد مضت عليه اربع سنوات فى التعلم بالزيتونة وكان والده اذ ذاك قاضيا شرعيا ببلدة رأس الجبل ومن المرجح جدا أن يكون الشابى قــد تعرف فى فترة من فترات اقامته مع والده ، بفتاة كان يلقاها ويتفسح معها فى بعض المنتزهات وان هاته الفتاة هى التى تحدث عنها فى أوائـل شعـره حديثا ساذجا ونظم فيها أولى قصائده وهى التى ذكرها الدكتور فـروخ فى دراسته واتخذها مثلا على ضعف غزل الشابى وضحالته ٠ ونحـن نعرف ان هاته الاشعار قد حذفها الشابى من ديوانه حين اعده للطبع وقال عنها ان فيها سذاجة صبيانية ٠٠٠ واتفق أن ماتت الفتاة فى تلك الفترة وانتقلت اسرة الشابى الى زغوان سنة 1927 وهى السنة التى نشر فيها الاستاذ السنوسى مختارات وافية للشابى فى كتابه المعروف « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » جاءفيها كثير من مراثيه لهاته الفتاة ٠ أما زواج الشابى فانه لم يقع الا فى صيف 1930 بعد وفاة والده فى سبتمبر 1929 ٠ ومن المؤكد عندى ان الشابى لم تكن له حياة قلبية غير تلك الفتاة التى احبها وهوفى سن الخامسةعشرة

فليس هناك اذن خيانة زوجية ، ولا اندفاع وراء المرأة ولا القاء للنفس الى التهلكة ، ولاحب ينتقل ويتجدد كما يدعى الدكتور الناقد

على ان الذى أوقع الكثيرين فى الغلط فى خصوص هاته المسألة انمـا هـو قصيد صلوات فى هيكل الحب ، الذى نشره الشابى بمجلة « أبولو » فى عدد افريل 1933 والذى رأى فيه الدكتور فروخ وغيره حبا جديدا للشاعر بينما رآه آخرون ، ومنهم الاستاذ كرو ، انه قيل فى فتاة الشاعر الاولى ٠ والحقيقة

ان الشابى استوحى هذا القصيد • حسبما ذكر لى ذلك شفويا •• من فتاة انجليزية مصورة كانت قد اقامت مدة بتوزر لتصوير بعض مناظر المدينة وواحاتها على نحو مايفعل الفنانون الاجانب فى بلادنا • فرآها الشابى تغدو وتروح وتقبل وتدبر فاستولى جمالها وشبابها على مشاعره الى درجة الذهول الصوفى فرفع اليها تلك الصلوات • ومن قرأ القصيدة قراءة متأمل على هذا المعنى تبين له ان الشاعر يصف نوعا من الجمال يراه ولايدنو منه وينسم عبيره ولايقطف وروده وان ذلك الشوق العارم ، وتلك العبارات الملتهبة لايمكن أن توحيها الا اللهفة المنبعثة من الحرمان ـ ألاترى انه يتحدث عنها حديث المتفرج الذى لايباح له الدخول للهيكل :

كلما ابصرتك عيناى تمشين بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الزهر فى حقل عمرى المجرود

ثم انظر الى هذا الالتماس ، التماس الشاعر المحروم الذى يريد أن يعيش فى قرب المحبوب بل يقنع حتى بظله •

يا ابنة النور اننى أنا وحدى ، من رأى فيك روعة المعبود
فدعينى اعيش فى ظلك العذب وفى قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال والفن والالهام والطهر والسنى والسجود

نعم ان كل من أمعن النظر فى قصيد « صلوات فى هيكل الحب » رأى انه لايمكن ان يقال فى محبوب عرفه الشاعر وتحدث اليه وافضى له بلواعج الغرام بل هو يمثل صلاة مرفوعة الى « المرأة » الى رمز الحب فى قلب شاب فى سن الرابعة والعشرين ظل محروما من الحب بحكم المجتمع الانفصالى ، وسيطرة الوسط المحافظ ، وتقاليد الاسرة المتشددة • لقد خطرت تلك الفتاةالانجليزيه أمام نظر الشاعر الشاب ذات يوم فأججت مشاعره النائمة وأحيت فى قلبه الميت ذكرى حبه القديم واشواق قلبه الدفينة

أنت تحيين فى فؤادى ما قدمات فى أمسى السعيد الفقيد
وتشيدين فى خرائب روحى ، ماتلاشى فى عهدى المجدود
من طموح الى الجمال ، الى الفن الى ذلك الفضاء البعيد
وتبثين رقة الشوق والاحلام والشجو والهوى فى نشيدى
بعد ان عانقت كآبة أيامى فؤادى والجمت تغريدى

وخلاصة القول : ان الذى أوقع الدكتور فروخ فى هذا الخلط الغريب انما هوعدم تحقيقه تواريخ نشر قصائد الشابى ليعرف مدى تطورشعره وليستبعد منه اشعار التجارب الاولى الساذجة ، فليس من العدل فى شىء أن تحكم على الشاعر بقصائد قالها فى سن الخامسة عشرة وأن تبنى عليها أحكاما عامة تشوه صورة الشاعر وتظهره شخصية متلاشية مضطربة بين القوة والضعف أو أن تحكم عليه بانحلال ألاخلاق والتهالك على المجون بينما كان ، فى حقيقة الامر • من اعف خلق الله وأسماهم نفسا وأطهرهم حياة •

نور السماء

بقلم نور الدين صمود

سمَوتُ بقلبي .. وبالخاطر وبالروح في عالم غامر ...
تدفَّق فيه الشعاع السَّريُّ وهفهف كالمَلَك الطائر
سموت .. في حطري نوره وفاض الشعاع على ناظري
وهِمتُ بقلب .. طليق الشعور لدى عالم طاهر عاطر
فابصرت نور الاله العظيم تبسَّم في الملا الطاهر
وهلَّ عليَّ ضياء عجيب كما لالات حَدقتي ساحر
وحلقت منطلقا في الملاء لاقبس من نوره الغامر ...
واحسَسْت همهمة في السماء تَرَدَّدُ من مَلَكٍ عابر :
«أرى الشعر يُبلِغُ باب الاله فقد نظر الله للشاعر»

---

* مستوحاة من لامرتين الشاعر الفرنسي الشهير

الشاعر التونسي المجيد :
محمد الورغي

بقلم محمد الصادق العامري

تفتح روض أدب الورغي (1) بتونس في مستهل العصر الحديث في فترة عصيبة من تاريخ تونس عند ما كانت هذه البلاد تعبث بها أعاصير الشهوة على السلطان ويشتد فيها النزاع ويستفعل فيها نهم البايات على استغلال تونس لفائدتهم ولا يهمهم من أمرها الا اشباع نهمهم ·

وقد حملت الانانية المفضوحة حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية بتونس سنة 1117 على تحويل ولاية العهد من ابن أخيه علي باشا ابن محمد تركي الى ابنه محمد الرشيد ·

وكان حسين بن علي قبل ذلك قد عني أشد العناية بتثقيف وتهذيب وتأديب ابن أخيه علي باشا وتوجيهه الى المعرفة في ريعان عمره وشرخ شبابه حتى أصبح ولوعا بالمعرفة ناهيك أنه أقدم على شرح التسهيل لابن مالك في قواعد اللغة العربية فيما بعد ولم يصده السلطان عن التغريد على قنن العرفان ولم تسب فؤاده الخرد الحسان عن المطالعة والدراسة ومسامرة الادباء والتحليق في تلكم الاجواء ·

ولما شعر علي باشا بما حيك حوله من المؤامرة وأيس من عطف عمه حسين ابن علي التجأ الى جبل وسلات سنة 1140 واعلنها ثورة حصدت البلاد وطحنتها وانتهت بقتل عمه حسين بن علي سنة 1153 في خبر طويل والتجأ أبناء حسين ابن علي محمود ومحمد وعلي يتمسحون بالاعتاب ويقفون بالابواب ويستنجدون بأتراك الجزائر ويتربصون الدوائر بابن عمهم علي باشا الذي اقتعد عرش البلاد التونسية بعد أن شردهم تحت كل كوكب ·

في هذه الظروف العصيبة كان الورغي بلبل البلاط الباشي الغريد والمتفنن بأطراف البلاغة المجيد في شعبها المتحلي بافانينها فصاحة مندفقة وبيانا فياضا رائعا زخارا نثرا ونظما طوق بـه جيد تونس على مدى الاعصار ولم يضاهه شاعر في البلاد العربية على ما اعهد في ذلك العهد في حسن السبك وبلاغة التعبير وجزالة اللفظ وطلاوة الاسلوب ومتانة التركيب وحصافة المعنى ورقة المنزع ولقد جمع في شعره بين الفخامة والرقة ومن العجب أن يجتمعا في شعر شاعر ولكن الورغي البليغ عرف كيف تفنن في ذلك، فاذا قرأت له في وصف المعارك قصيدا خيل اليك كأنك تقرا للمتنبي وكانك حاضر في المعمعة · ··· تشاهدها عن كثب والشاعر يـؤزك ازا ويحدو بك الى مـوطن الحماس فتندفع بدون شعور وراءه وهو يزار كأنه الاسد الرئبال ويرفع عقيرته قائلا :

(1) المتوفى سنة 1190هـ

بين الظبا والعوالى ترفع الرتب ... ولا ترى راحة ما لم يكن تعب !
ومن تسامى الى أمر عز مطلبه ... ولم يقم غازيا لم يدنه الحسب
شتان بين ثقيل الجنب منبطح ... وظافر فى لظى الهيجاء يضطرب
قد كابد السيد الباشا فما قعدت ... به الدواعى ولا أزرى به النصب
واستسهل الصعب فى تسهيل واجبه ... حتى قضى فى العلا كل ما يجب
فأى منزلة فاتته صهوتها ... أو رتبة لم يكن فيها له خبب
سل طالع الافق عن مرمى مواطئه ... تدر منازله الآفاق والشهب ٠٠٠!

الى آخر القصيد الذى طال فيها الوصف وابدع فيها الرصف وأحرز بها قصب السبق ولم يشق له مقلدوه فيما بعد غبارا ومن قصائده فى هذا المنحى الغريب الذى أعاد به للادب العربى فى هذا العهد قوته ومتانته القديمة فى حكمة طريفة ومثل سائر ظاهر به أبا الطيب المتنبى فى سبكه وحكمته ودقة وصفه وغزارة طبعه وجودة شعره واربى عليه لان الورغى جاء فى عصر تضاءلت فيه العربية اذ ذاك وخمد صوت أدبها ولم يبق لها بالبلاد العربية الا الطلل الدارس بين العرصات والمدارس فكان الورغى يرفع راية الادب باليمين بتونس التى تنفس فيها الادب الصعداء فى عصر الاتراك الذين هجروه عندما جهلوه

ولا يكاد الورغى يغادر موضع المعترك ويعود الى الحاضرة حتى يعاوده مرحه ويرق طبعه وتصاحبه الى منتزهات العاصمة فاذا هو يشدو شدو العندليب فيحاكى ابن هشام القرطبى فى وصفه لمنتزهات قرطبة فى قصيده الذائع الصيت المعروف عند الاندلس بـ (كنز الادب) الذى مطلعه « يا هبة باكرت من نحو دارين » ويقول الورغى فى هذا الصدد : (فى وصف منتزهات تونس)

باكر صبوحك ليس الوقت بالدون ... واجعل صبوحك عند باب سعدون
واصحب الى الانس جذلان الفؤاد اذا ... أطفت حمياك نار الصعب باللين
ماذا التوقف عن عيش تسر به ... وقطع آنك فى حدس وتخمين
فاخلع عذار التوقى من عواقبه ... ما الحزم تركك قطعيا لمظنون
اما ترى الروض قد القى السحاب به ... على طريق الغوادى أى بزيون
قد وشحته فنون النور وانبسطت ... على خمائله ظل الافانين
كأنما قزح لما تقوس فى ... ارجائه رشه من كل تلوين
وقف هنا بأبى فهر الجليل فقد ... مضت به دولة الشم العرانين
ترى الحنايا كسطر النخل مد به ... بعض لبعض كمحنى العراجين
أو خرد نهضت للرقص فاعتنقت ... كى لا تجىء برقص غير موزون
ولست صاحب ظرف ان مررت على ... مرسى الظريف ولم تنزل الى حين
والعبدليات تحكى فى تصنعها ... خرائرا جئن فى غنج وتزيين
وما مقيم لدى الافيا بسكرة ... على القلالية الغنا بمغبون
ولو وقفت بقلمرت التى جمعت ... شطوطها بين مرعى الظب والنون

ومـــل لمنـــوبـة وقـت العشى اذا ... فـاح الاصيـل بها بين البســاتيـن
وانظر الى القصر والاخـرى تناظـره ... مثـل البيـادق طـافت بالفـرازيـن
والطيـر تصـدح فى حافاتهـا زمـرا ... جمـوع عجـم أتتَ بعض الدواويـن
ورح الى رادس العـليـا وقبتهـا ... بين البسـاتيـن تبدو مثل باشيـن
حتى اذا ما قضيـت البعض من وطـر ... ورمت ايقـاع فـرض بعد مسنـون
فاركض الى ضحوة المركاض وانس به ... ما كان عنـدك من وحى الشياطيـن
واحضر عشيـة باب البحـر مغتبطـا ... فربمـا نفسـت عن نفـس محـزون
امـا ترنجحة فهـو البـر لـو سلمت ... ساحاتهـا العـز من لسـع الثعـابين
وارجع الى البيت من باب المنـارة أو ... باب الجديـد الى سـوق الرياحـين

الى آخر الوصف الرقيق الدقيق الذى ينبعث عن روح وثابة مرحة بل كاد شعره يجرى مجرى الامثال لجزالته وروعته فيقول :

هو العز فى سمر القنـا والقـواضب ... والا فمـا تغنـى صـدور المطـالـب
ومن زاحف الاخطـار أحمـد غيـها ... فامـا بنصـر أو لـدفـع المعـاطي
لـو كان احـراز الفضـائـل هينـا ... لسـاد بمحض قـول من لـم يضارب

ويدور الزمان دورته فاذا (على باشا) يسقط قتيلا صريعا بين يدى أتـراك الجزائر الذين هاجموه بقضهم وقضيضهم سنة 1169 هـ ۰ ويتقدم الورغى الشاعر الوفى الى رثاء مولاه وتدوين ما يكتب على صخور قبره فى الابيات التالية :

مضـت دولـة البـاشـا على كأنـه ... من الدهر يوما فى الولايـة ما عاشا
أتتـه المنـايا وهو فى عظم قـوة ... وجيش قـوى مثلـه قـط ما جـاشا
وصـار دفيـنا بعـد ما كـان دافنـا ... فقلـت وقـد أرختـه دفـن البـاشـا

ولم يكد ينتصب محمد الرشيد بن حسين بن على على عرش أبيـه المتصـدع المتضعضع بوسائل الخزى والعار التى شرحها التاريخ التونسى شرحا مخجلا فاذا الشاعر الاديب محمد الورغى يصفد فى الاغلال ويضرب بالسياط ويرمى به فى قعر السجون بدعوى أنه كان يحرض بشعره الباشا عليا على أبناء حسين ابن على فيصادر وينكل به ثم يشمله العفو فيما بعد ويخرج من سجن البايات مملقا سليبا حزينا كئيبا ثم يسمح له برد شىء من امواله ولكن الناس يتعصبون عليه ولا يسمحون لانفسهم ان ينقلوا أدبه فضلا عن حفظ اشعاره او التنـويه باثاره ۰۰۰ حتى أن المؤرخ التونسى احمد بن ابى الضياف حشر فى تاريخـه بعض قصائد الورغى لم يتمالك عن تدوين الملاحظـة الآتية قائـلا فى حسـرة وارتماض :

« انما نقلنا هذه الاشعار البليغة (أى أشعـار الـورغى) لان بعض الادبـاء يتزلف بعدم نقلها والعجب من الوزير ابن عبد العزيز مع ولوعه بالادب نقل ما دون هذا الشعر بمراتب ، اللهم الا ان يقال ان الغرض فى كتابه (أى الباشى) مدح مخدومه وهو القصد الاول ؟

ثانية

بقلم جعفر ماجد

أرسلت من ثغرها   في ذهول العاشقين
بسمة مثل الشذا   حام فوق الياسمين
ثم غنى صوتها   في حنان ، في حنين :
« هاكها ياشاعري   لا تكن هذا الحزين !
في شفاهي خمرة   لم تبح للشاربين
فاحترق في كأسها   واشد بالوحي المبين
سوف صدري يلتقي   عندما يحمي الصراع
منك صدرا أزبدت   فيه أمواج جياع
من شعور من هوى   من جنون في اندفاع
سوف نبعا لذتي   منهما يحلو الرضاع
أنت طفل السحر لا   تسق من غش يباع
فاحتضنني ، ضمني   اننا روح مشاع
ان عمرا قد مضى   في ذهول واكتئاب
كان أحرى أن يرى   مشرقا مثل الشهاب
هذه الشقراء لا   تفهم السحر المذاب
انها عبد الدمى   انها عبد الثياب
بئس قوم يشترى   لحمهم مثل الكلاب
قل : ألم تسجد لها ؟ »   قال : « لا .. كانت سراب
اتركيني انني   في الورى خلق غريب
اتركيني للضحى   اتركيني للمغيب
للروابي للندى   لانتحاب العندليب
لاتظني أنني   واهب العيش الخصيب
شقوتي لاتنتهي   شرها يعدى القريب
فاطلبي غيري ولا   تقتلي الحسن الرطيب !. »
فاعترتها دهشة   حلقت فيها الشجون
ثم حارت دمعة   وانتهى رقص الجفون
حين رفت نغمة   حركت فيه الجنون :
« الهوى ياشاعري   حسبه دفء العيون
كيف تفني فتنتي   لوغدت نبع الفنون
انت روح خالد   صوته جاب القرون »

ليلة ليلاء

اقصوصة بقلم منير شماء

وددت لو اننى لم اعش تلك الليلة الفظيعة المريعة . تلك الليلة التى حييتها ، لامخافة الله ، ولكن خوفا من احد عباده . بلى ياهادى ، كنت خائفا طيلة تلك الليلة ...

يبدو لى على وجهك انك لاتصدقنى . أحقا تظن أننى لا أخاف شيئا . انك مخطىء ياصديقى . صحيح اننى لست جبانا بالمعنى الذى تعارف عليه الناس لكلمة جبان . ولكن الشجاع يخاف كغيره من الناس ، فتطغى شجاعته على الخوف ، فيسمى شجاعا ، ولكن الخوف كامن فى نفسه رغم ما يبدو عليه من الجرأة وما الفرق بين الشجاع والجبان الا بان الشجاع يغلب الجرأة على الخوف والجبان يغلب الفرار على الصمود

كانت لنا فى قرية «سعسع» اراض وزياتين فى فلسطين السليبة . وكنت يومئذ فى السابع عشرة من عمرى ، طالبا فى المدرسة . وكانت ثورتنا يومئذ فائرة كالبركان ، ففى كل ليلة قتلى وجرحى وفى كل نهار انفجار ورصاص وفى كل قرية يجول الثائرون ويصولون ، ويعملون فى الارض اثناء النهار وينتظرون الظلام بفارغ الصبر ، حتى اذا اسدل الليل ستاره على ارضهم الحبيبة ، ودع الرجل زوجته واولاده والفتى أمه واباه ، والاخ اخته ، وحملوا السلاح ، فتسللوا الى الجبال يرقبون حركة الجند ، فينصبون هنا كمينا ويحفرون هناك لغما ، فاما وقعت فى الكمين سيارة من سيارات الجند او بضع سيارات ، انقضوا عليها من جانبى الطريق بالحديد والنار وهم يصيحون: الله اكبر . واما مر قطار للجند نسفوه ، فاذا اجزاؤه تتبعثر فينقضون على اشلائه كالنسور المفترسة وعلى شفاههم دائما هذا الهتاف الله اكبر . هؤلاء هم المجاهدون

ولكن فئة قليلة من ضعاف النفوس ، اغتنموا فرصة الثورة فحملوا السلاح ، لا فى سبيل الله ولكن فى سبيل الشيطان ، حملوا السلاح لا للدفاع عن الشيوخ والنساء والاطفال ، ولكن ليسلبوا به المال ويملؤوا

جيوبهم وبطونهم بما حرم الله عليهم من اموال الناس • وقد تجد بينهم من حمل السلاح ليقتل له عدوا قديما من ابناء قومه ، او ليأخذ بثار قديم لابيه او جده • فهذه الثارات المقيتة لم نتمكن من التغلب عليها على مر السنين ولم تفلح فى القضاء عليها وضعيتنا الشاذة الفريدة التى كنا فيها نواجه اصنافا من الاعداء والوانا • فها هو جيش الانتداب يتربص بنا ويفتك بابنائنا وهاهم حثالة البشر يسلبون بلادنا وهاهم الخونة منا يبيعون ضمائرهم للشيطان مقابل دريهمات تافهة • وهاهو الفقر والمرض والجهل تفتك جميعها بنا فتكا ذريعا • وهاهم الزعماء الزائفون يوردوننا المهالك بسخافتهم وسوء تصرفهم فى امور البلاد • ولكن هذه العوامل جميعها لم تتمكن من توحيد صفوفنا والقضاء على عداواتنا السخيفة العتيقة البالية المتوارثة فهذا الثار الشنيع بقى رافعا رأسه بيننا كالافعوان الضارى ينشب نابه يمنة وشمالا فلا يصيب الا مصرعا

انتهت الدراسة فى ذلك العام ونجحت فى الامتحان وجئت المدينة فى عطلة مدتها ثلاثة اشهر • فما انقضى منها الاسبوعان الاولان حتى دب السأم الى نفسى • ولاحظ على والدى اننى قد ضقت ذرعا بالاقامة فى المنزل ، فصار يوفدنى فى بعض اشغاله ، فأسافر من مكان الى آخر رغم صعوبة التنقل

وفى ذات يوم ناداني وقال : لنا بعض المال عند الشيخ عثمان ، شيخ سعسع فهو الوكيل على اراضينا • ولم يتمكن من المجيء الى صفد ليدفع لى ما بذمته • وقد أرسل الى يرجونى أن أبعث اليه بمن يحمل المال • فما رأيك فى أن تذهب اليه ، وتمكث عنده ليلة ، ثم تعود فى اليوم التالى والمال معك

ففرحت بالفكرة • وحملت معى حقيبة صغيرة ، وسرت على بركة الله • واوصلتنى السيارة العمومية الى المكان الذى ابدأ منه المشىء فى اراض وعرة توصلنى الى قرية سعسع • ووصلت القرية قبيل الغروب ، فاختفى الشيخ عثمان بمقدمى وبالغ فى اكرامى كعادة فلاحينا الطيبين • ورأيت ابنه صالح يذبح دجاجتين استعدادا للعشاء • وما كدت اجلس مع الشيخ عثمان على شرفة منزله العالية المطلة على الوادى والجبال القائمه فى كل جانبه حتى اقبل بعض اصدقاء الشيخ ليسلموا على ضيفه • وأصر الشيخ عثمان على أن يجلسنى على كرسى ، لانني فى نظره « افندى » اى مدنى لم أعتد الجلوس على الارض • ولكننى اصررت على الجلوس على الارض • واقبل الخدم يحملون

كانونا ضخما تلمع فى وسطه جمرات حمراء ، نسميه المنقل • فوضعوه فى وسط الشرفة امام الشيخ عثمان واحضروا له اباريق القهوة والماء والسكر والفناجين والطبق • وانهمك الشيخ فى صنع القهوة على نوعين نوع يسمى القهوة السادة او المرة وهى تغلى كثيرا ولا يستعمل معها السكر • ونوع يسمى الحلوة ، يضاف اليها السكر بكميات معينة حسب رغبة الشاربين

جلسنا نحتسى القهوة ونمتع ابصارنا بجمال الارض من حولنا وروعة المغيب ، ونستمع الى سمر الفلاحين • وكان الحديث يدور حول الثورة وحوادثها وبلاء المجاهدين ووقائعهم وهبطت الشمس وراء الجبال فكان منظر الغروب من اجمل المناظر واروعها • وقام الشيخ عثمان وبعض الجماعة الى صلاة المغرب ، فقمت مع القائمين وصلينا جماعة وأمنا الاستاذ حسن المعلم، وهو شيخ جليل طلب العلم فى الازهر الشريف وبعد انتهاء الصلاة دعا الله دعاء كان له وقع عظيم فى نفوسنا فكنا نؤمن من بعد قوله فى ايمان وخشوع وأمل • وأذكر من دعائه قوله : ــ اللهم أعنا على الجهاد فى سبيلك كما جاهد المسلمون الاولون • واحفظنا من شر اعدائنا واعدائك ، ووفق عزائمنا والهمنا الصبر على المكاره • وائتنا النصر الذى وعدتنا لا الاه الا انت سبحانك • اللهم شد عزم مجاهدينا والهمهم الصبر وانصرهم وانصر زعمائنا والهمهم الاخلاص وانر طريقهم الى مافيه خير هذا الشعب •

وبعد انتهاء الدعاء جلسنا نخوض فيما كنا فيه من حديث الثورة ووقائع المجاهدين وجاء طعام العشاء فاكلنا واستمر السمر الى وقت صلاة العشاء فصلينا ودعونا الله ان ينصرنا • وذهب معظم الفلاحين ، واذا الخادم « على » يقبل مهرولا ويقول : ان ثلة من الثائرين قد اقبلوا على القرية وهم متجهون صوب منزل الشيخ عثمان

فهب الشيخ عثمان لاستقبالهم والترحيب بهم • وما هى الا لحظات حتى دخلوا المضافة التى كنا فيها : فرحبنا بهم وجلسوا بيننا والتعب ظاهر عليهم • وكان بينهم رجل خلت اننى اعرفه ، ولكننى لم اتمكن من تذكر اسمه • فملت على الشيخ عثمان وهمست فى اذنه اسأله عن ذلك الرجل فحدق بى الشيخ عثمان لحظة كانه لايدرى ما يقول ، ثم تنحنح وهمس لى قائلا : « انه صخر الاعور الا تذكره »

فكأن الشيخ عثمان مسنى بجمرة متقدة ••• صخر الاعور ثائر شاكى

السلاح ؟ • انه من الاشقياء شقى لم يشق الشعب بمثله وقاتل سفاح لا يعرف قلبه الرحمة ومن أسرة بينها وبين اسرتى ثأر عظيم قديم

ما كدت ادرك هذه الحقيقة حتى وددت لو اننى لم احضر الى سعسع فى ذلك اليوم وشعرت فجاة بخوف شديد فها انذا فى هذه القرية ، بعيد عن دارى وأهلى ، أجلس فى مكان يجلس فيه عدو لدود يحمل الضغينة لى ولاسرتى ويتربص بنا الفرص ليقتص منا وهاهو مدجج بالسلاح •• صدقنى ياهادى اننى شعرت كما لوكنت فأرا صغيرا لاصول له ولا قوة ، قد وقع بين انياب قط جائع ان هذا الرجل لا يتورع عن القتل فى الايام العادية ووقت استتباب الامن والنظام ، فكيف به الان وقد حمل السلاح علنا وخرج الى الجبال فى زمرة الثائرين • يحمل دمه على كفه (كما يقولون)، لايبالى بالموت ، يذبح العلوج كما رأيت ابن الشيخ يذبح الدجاجتين

حاولت ان اخفى فزعى وأن التهى بالحديث ، ولكن عينى سمرتا فى وجه الشقى صخر الاعور ، وصرت اجد صعوبة عظيمة فى الظلام ، خصوصا عندما رأيته يحدجنى بنظرات تدل على انه قد عرف من انا وخيل الى اننى المح امارات الغدر فى عينيه الضيقتين وابتسامته الصفراء الخفية • ولم أدر ما أفعل ، ففكرت فى الامر حتى ... ذكرى وسهوت عن الحديث الدائر من حولى • وخطر فى بالى أن اسر فى اذن الشيخ عثمان بما يخالج نفسى من خوف من هذا الشقى • ولكن كبريائى أبت على أن احتمى بشيخ هرم من صعلوك مجرم • فقلت لنفسى : اذا كان هذا المجرم يفكر فى قتلى ، فلا يعقل ان يقتلنى امام الناس ، ولا بد من ان ينتظر حتى ننام جميعا • فاذا انامنى الشيخ فى غرفته نجوت من الهلاك • واذا انامنى مع آخرين فى غرفة واحدة نجوت ايضا • ولكن من يضمن لى ان ينيمنى مع آخرين ، انه رجل يعتز بكرمه ، ويحرص عى صداقة والدى ويولينى من العناية والتقدير اكثر مما استحق • فلعله يخصص لى غرفة وحدها انام فيها وحيدا وعندئذ تحين الفرصة المواتية للمجرم صخر ، فيقوم بعد أن يهجع رفاقه ويتسلل الى مكانى ويجهز على بخنجره وانا نائم ، ثم يعود الى النوم مع جماعته وكأنه لم يفعل شيئا

ومر وقت طويل خلته سنة ، وانا غارق فى هذه الافكار • وكان الشيخ

يقدم الى والى بقية الضيوف فناجين القهوة المرة • وكنت قد اعتذرت عـــدة مرات ، ولكن خوفى من ذلك الرجل صخر دفعنى الى قبول القهوة من يـد الشيخ • فرحت اجرعها فى لذة واستزيد منها والشيخ مسرور لذلك لانـــه كان يفخر بأنه من خير من صنع القهوة ، ويفرح اذا شربها ضيوفه ويحزن اذا كفوا ايديهم عنها

وجاء العشاء للمجاهدين ، واذا هو كبش كامل قد طبخ بطريقة « الزرب » المشهورة عند الفلاحين فى فلسطين • فاكل المجاهدون واثنوا على كـــرم الشيخ : وكان صخر بينهم يلتهم الطعام التهاما ولم تصدر منه كلمة شكر واحدة • ولما رفع السماط شارف أن ينتصف الليل • فالتفت الى الشيـــخ عثمان وقال : اراك تكبو من النعاس • فاذا شئت ان تنام فهيا ارك غرفتك

وما سمعت كلام الشيخ حتى شعرت كأن الدنيا تميد من تحتى • لقد صدق حدسى فهاهو قد اعد لى غرفة خاصة بى انام فيها وحدى • ولكن انى يأتينى نوم فى هذه الليلة •••

وعندما قمت الى النوم تحرك المجاهدون واستعدوا للنوم حيث هم•ونصب قائدهم حارسا ليليا يتناوب الحراسة مع زملائه ، يحرس كل منهم ساعة واحدة ورأيت من كلام القائد أن صخرا سيتولى الحراسة فى الساعة الخامسة

ودلنى الشيخ عثمان على غرفتى • واذا به قد فرش لى فراشا على الارض ، وكان الفراش نظيفا والادثرة كافية • وخرج وهو يقول « تصبح على خير » فلم اتمالك ان قلت « ان شاء الله وانت بخير » ونظرت الى قفل الباب واذا هو قوى متين و مفتاحه من الداخل • فقلت لنفسى اقفل الباب وانام بحفظ الله » ولكن يدى توقفت على المفتاح ، اذ خطر لى خاطر اقلقنى ، قلت لنفسى « اذا جاء هذا الـوغد عندما يرقد زمـلاؤه ، ووجد البـاب مـوصدا ، فانـه سيتبجح عند افراد أسرته ، باننى قد خفت منه • واوصدت الباب دونه • وخطر فى بالى أن الموت اهون من أن يدعى هذا النذل اننى جبان • فتركت الباب مغلقا ولكن من غير أن أوصده • فقلت لنفسى » لن انام هذه الليلـــة بل سأبقى صاحيا متربصا منتظرا قدوم صخر • حتى اذا دخل الباب متلصصا فاجأته بالهجوم عليه ، قبل أن يستطيـــع الوصـــول الى • وشرعـــت حالا فى تنفيذ خطتى ، فاطفأت المصباح وجلست على المصطبة الحجرية المبنية تحت الشباك والتى نسميها « المد » وهممت ان ازيح الستار عن الشباك ولكنى خشيت ان يكون الشباك مطلا على احدى غرف الشيخ أو صحن الدار

الداخلى حيث تقيم عائلته • فتركت الستار مكانه واخرجت مسبحتى من جيبى ورحت اسبح الله وانا ادعوه السلامة واللطف بى ومر الوقت بطيئا مملا ••• واذا بى قد كبوت من نعاسى فأفقت فجاة كالملسوع والتفت الى الباب فوجدته على حاله

وتوالت كبواتى من شدة نعاسى ، فقمت الى الفراش وزحزحته حتى صار مواجها للباب تماما •

وصممت على أن اقفز قفزة واحدة اذا فتح الباب لاباغت صخرا عند دخوله فى هداة الليل • ولم يكن عندى اى سلاح ، فرحت اتلمس جوانب الغرفة وابحث عن اى سلاح او عصا ، ولكننى لم أجد شيئا ، واتضح لى ان على ان اعتمد على يدى وحدهما فى الدفاع عن نفسى • وصرت استعرض فى ذهنى أساليب الدفاع الاعزل التى اعرفها • وتيقنت ان فى استطاعتى اذا فأجأته فى الظلام أن أضربه ضربة تشل حركته او تقضى عليه ولو كان مشهرا سلاحه • ولكننى عدت فذكرت أن هذه الضربة ربما تقتله ، وانا لا احب أن اقتل انسانا (ولو دفاعا عن نفسى) ، اذا وجدت طريقة اخرى لشل حركته من غير أن افقده الحياة • ثم ذكرت ايضا ان هذه الضربة لاتمنعه من الصراخ العالى فتوقظ صرخته جميع من فى المنزل • واخيرا هدانى التفكير الى طريقة بسيطة ، وهى أن انقض عليه فأطبق يدى على عنقه حالا واخنقه خنقا يمنع صدور أى صوت منه

وعزمت على هذه الطريقة•فاستلقيت على الفراش انتظر الساعة المحتومة• وعاودنى النعاس وخشيت أن اغفو ، فصرت اقرص جوانبى بيدى فيضطرنى الالم الى البقاء على صحوى • وفجأة شعرت بقرصات اخرى مؤلمة فى جوانب عديدة من جسمى ، وتلمست مواضيع تلك القرصات واذا هى قرصات براغيث عديدة • ذلك ان الشيخ قد بالغ فى اكرامى فوضع فوق الفراش جلد شاة وثير ، والظاهر ان البراغيث كانت معشعشة فى صوف الجلد الذى نسميه « الجاعد » وانا كغيرى من عباد الله العاديين ، اكره البراغيث كرها شديدا • ولكنى احببت تلك البراغيث التى هاجمتنى فى تلك الليلة فكأن الله سبحانه وتعالى ، يسرها لى لتبقينى صاحيا • ومر الوقت وانا اعالج المسبحة حينا واعالج البراغيث احيانا واكبو واصحو وقد اخذ منى التعب مأخذه • ولكنى لم اعد اشعر بالخوف ، لاننى تأكدت من ان المفاجأة ستشل تفكير هذا الطارق المجرم وتحفظنى من شره • وفجأة شق ستار الليل صوت عال رخيم يقول الله اكبر الله اكبر • فادركت انه صوت المؤذن يدعو الى صلاة الصبح • فحمدت الله وشكرته على السلامة • لقد طلع الفجر ولم يتحقق خوفى من قدوم صخر فى الليل ليقتلنى • وصرت ألوم

نفسي على خوفي الذى لم يكن له داع · وايقنت ان ذلك المجرم لن يجرؤ على المجيء الى غرفتي الآن وقد اذن المؤذن لصلاة الصبح · فلا شك فى ان الناس او بعضهم سيصحون من النـوم · ولا يعقـل ان يهـاجمنى صخر فى تلـك الساعة · فقمت حالا ملء عينى

وفجأة شعرت كان يدا خفية توقظنى من نومى ، فصحوت مذعورا وعيناى على الباب ، واشتد رعبى عند ما رايت مقبض القفل (اى الحلقة) يدار فى بطء شديد فولى نعاسى فى لحظة وقفزت الى الباب فى اقل من رمشة عين ، فما كان يفتح الباب حتىقبضت على عنقه بيدىالاثنتينوجذبته جذبة جبارة وكبست اصابعى باقصى ما فيها من عزم وقوة ، ولم يستطع أن يصرخ ، ولم يصدر صوتا ، بل انه لم يستطع أن يتنفس · وانهارت قواه وانثنت ركبتاه وهوى عليها ، فاضطررت لان انثنى فوقه فقرب وجهى من وجهه ··· وياالهول مـا رايت · رايت عينى الشيخ عثمان تكـادان تقفزان من محجريهما وقد ازرق وجهه وبدا عليه زعب فظيع فارخيت قبضتى حالا وساعدت الشيخ عثمـان على النهوض واسندته حتى جلس على « المد » ورحت ادلك له رقبته وفتحت الشباك طلبا للهواء النقى ·ولما عادت الى الشيخ نفسه قال لى فى ضعف « كدت تقتلنى يابنى · ماذا طرأ عليك » فخجلت منه ورحت اعتذر اليـــه وقلت : « اننى مصاب بالاحلام المفزعة ولا يخفى عليك اننا نعيش فى ظروف صعبة ، فى وسط هذه الثورة · وقد اثر فى اعصابى قدوم المجاهدين فى الليلة الماضية ، وصحوت فزعا من حلم فظيع ، خيل الى فيه أن رجلا يدخـل على متسللا ليقتلنى ، فهببت من غير وعى لادافع عن نفسى وكنت مـا ازال تحت تأثير الحلم المفزع الذى رأيته فى منامى · وهذا ما كان والحمد للـــه على السلامة · وارجوك عفوك واستر على ستر الله عليك · « فـرثى الشيخ لحالى وقال : « لابأس عليك يابنى لن يعلم احد بما جرى · ان هذه الاحلام المفزعة شيء فظيع · وانصحك بان تستشير طبيبا » فوعدته بذلك ولكنى سألته فى دهشة :

لكن يا شيخ عثمان لماذا جئت الى غرفتى هكذا متسللا ؟ »

فقال : « لقد اذن المؤذن ، وقام الناس للصلاة · ولـم ارك قائمـا مـــع القائمين فصرت فى حيرة لا ادرى ،هل تريد الصلاة ام لا ؟ وخشيـت أن اوقظك من نومك من غير داع خصوصا وانك سهرت الليلة الماضية · كما خشيت ان تلومنى اذا فاتتك الصلاة ولم اوقظك · فقلت لنفسى ادخـــل عليك على مهل فاذا وجدتك صاحيا سألتك عن الصلاة ، حتى اجلب لــك الماء للوضوء · واذا وجدتك نائما تركتك نائما · »

فقلت له : احسنت صنعا ياشيخ عثمان · هيا بنا الى الصلاة

أرضي لكم

قصة بقلم عبد الرحمن الكرشمي

الى أولئك الذين أبوا الا أن يعيشوا الحياة كما جاءتهم !٠٠

والى الذين غيروا مجراها فعاشوا الحياة كما أرادوا ٠٠٠

اليهم على السواء، أروى هذه القصة ٠٠ هذا يرى فيها وجهه فى ابعاده بين مجالات هذه الحياة ٠٠ وذاك لعله يبصر ٠٠

ــ حديثى اليك يابنى هذا المساء، تتمه لحديث لامس ٠٠

ــ ذكرت فى سمرك البارحة ان هذه الحقول الشاسعة كانت بيد الدخيل المستعمر، وقد كان يحرم عليكم أن تطأها أقدامكم ٠٠ ولم تذكر لى شيئا عن وجودك، بل عن وجودنا اليوم فيها ! ٠٠

ــ أما وقد استعجلتنى الخبر ٠٠ فهاك اليوم قصتى قصة الارض العائدة ٠٠ من عالم لا أعرف له طريقا، ولا عنه تاريخا، اتيت ٠٠ وفى مهمه الحياة ٠ شاءت الاقدار ان تضعنى ٠٠ وهناك فى تلك الفلاة حيث رميت، كنت أجهل السبل ٠

اختيارى لاى درب اسلكه، كل الدروب أمامى سواء ٠٠

لا اعلم غاية هذا من الآخر، ولا قصد هذا من ذاك ٠٠ وما اصبحت حتى علمت من امرى شيئا واحدا، هو أنى فى غير بيت أبى ٠٠ فى بيت رجل لست اذكر من هو الذى علمنى مخاطبته بيا (سيدى) ٠٠٠ ولكن الشىء الذى أذكره ولن استطيع نسيانه هو ان بيت سيدى هذا فى ارضنا ٠ نعم فى أرض آبائى وأجدادى ٠٠ هؤلاء الذين اختاروا الموت على الحياة الذليلة، فرارا بحريتهم من جبروت (سيدى) الذى اغتصب ارضهم هذه حبيبة انفسهم ٠٠ ثم اراد بعدها كرامتهم وعزتهم، ففروا بهذه العزة وتلك الكرامة راغبين عن الحياة ٠٠٠ ولكنهم كانوا يعلمون اخلاص هذه الارض لهم ٠٠ وكانوا لذلك يعتقدون انها لن تبقى محبوسة فى قبضة سيدى دون ان تنطلق وتعود ٠٠

ولكن متى ستعود ؟٠٠ هذا ما كان يدور فى خاطرهم دون ريب ٠٠ ولذلك لم يضنوا عليها بنجيعهم العزيز، وسمادهم الكريم لتخصب فتعز ٠٠

فى هذا البيت الذى شيد على ارضنا، فتحت عينى على الحياة ٠٠ وفى نفسى شىء ، احسه ، وكم كان يؤلمنى ذلك الاحساس ٠٠ ولم اكن لاستطيع الا كظمه لانه كان يستعصى على ابرازه ٠٠ وكم كنت أتلذذ بتقبيل ارض بيت سيدى لانى كنت احس فيها حرارة الامومة التى فقدتها ومرت الايام تعدو مثقلات باحداث حمراء ٠٠٠ كان يقوم بها رجال لايعرفهم الناس الا القليل ٠٠ وها انى كنت استمع لاختك وهى تراجع دروسها تذكر بعض اسمائهم ٠٠ ولاشك انك عرفت من هم هؤلاء الرجال ٠٠٠

وكنت انصت بكل صبر الى سيدى وهو يقص على كمشة من طغمة الشر من اصدقائه بعض تفاصيل تلك الاحداث ٠٠ فكانوا يتحرقون ٠٠ ويرعدون ٠٠٠ ويزبدون ولكنهم لا يفعلون ٠٠ لانهم كانوا لا يفقهون !٠ أما أنا فقد كنت اخذت على نفسى القيام بعمل هو امتداد لتلك الاحداث فيما هدانى اليه ذلك الاحساس المكبوت

ونما فى نفسى ذلك الاحساس ٠٠٠ فأضحيت ميدانا لصراع عنيف مرير، بين ما يريده سيدى منى ، وبين ما تريده نفسى ، اوبين ما يوحى به الى ذلك الاحساس المكظوم ٠

كان سيدى يابى الا ان اسجد له بعدد الخطوات التى اخطوها فى خدمته كل يوم ٠٠ ويأبى الا ان استقبله فى سجودى ٠٠ وتأبى نفسى الا ان تسجد سجدات معدودات فى فترات معينة من يومها ٠٠ وتأبى الا أن تستقبل ناحية واحدة لا تحيد عنها ٠٠ هى الناحية التى تتجلى منها الشمس كل صباح على وعلى سيدى على السواء ويأبى على سيدى النظر نحو الافق ، حتى لا اتعود مواجهته بالنظر ٠٠ وحتى لا احس سعة الفضاء ورحابة الكون ٠٠ وتأبى نفسى الا مواكبة الشمس فى مدارها، والقمر فى افلاكه ٠٠ وتسبيح الكواكب والنجوم ٠٠ وهى ترسب تارة وتطفو أخرى، من خلال السحب الزاحفة، يحدوها شوق ملحاح للرجوع الى منبتها الكريم فى أرضنا الحبيبة هذه ٠٠ هذه الارض التى ما فتئت تبرز تأوهاتها الحرى، الملتهبة المنبعثة عن انفعالات نفسها المملوءة غضبا وحقدا ، على سيدىهذا الذى يقصر بصره انيرىغيره فيها٠

وهل تلك البراكين الا زفرات ضاق بها صدرها، فاطلقها عله يخفف بعض

ما به لحظة من الدهر ٠٠ وما أظن تلك الدموع التى ترسلها السماء من حين لآخر الا تعبيرا صامتا عما يعتمل فى حناياها نحو هذه الارض !٠٠ فبكت رحمة وعطفا ٠٠

عجبا لسيدى !٠٠ الا يشعر حتى شعور الطبيعة !٠٠ انه حقا لشىء عجاب ان يتنصل الانسان من انسانيته، ويتجمد شعوره فيغدو أبعد الناس عن الانسانية، وليس هو بالحيوان ولا بالجماد فى شىء ؟٠٠

ايه بنى ٠٠ كان كذلك من كنت أدعوه، سيدى، وهو فى أرضنا هذه !٠٠

وبدت فقاقيع ثورتى تتعاقب الواحدة تلو الاخرى ٠٠ فوق مظهرى الراكد ركود الحقد فى نفس الذليل ٠٠ وتتابع تصاعدها بصورة شكلت لسيدى كتابات اقضت مضجعه ٠٠ ولاول مرة فى حياته جعلته يفكر !٠٠

ـ وفى أى شىء فكر يا ترى ؟ أفى السماح لارضنا بالعودة ؟٠٠٠

ـ ان السماح وقتذاك لم يعد فى يديه ٠٠ انه الغريق يجرفه التيار وتدفعه الامواج فيتشبث بكل شىء ٠٠ حتى بالموجة الدافعة !٠ أو الصخرة المحطمة !٠٠

لقد فكر أنه فى غير أرضه ٠٠ وأن رجالا من احرار هذه البلاد ثاروا فى وجه كل غاصب ٠٠ يستردون المغصوب أو يمحقون الغاصب ٠٠ وأنت تعلم يا بنى ان ما اغتصبه منا امثال سيدى لم يكن أرضا فقط ٠٠ انما هى العزة والكرامة والارض، هى الحرية وكفى ٠٠

فكر ٠٠٠ ثم قدر المواصلة ٠٠ وواصلت معه ما لا يريده هو ويريده فقط ذلك الاحساس السجين بين الحنايا ٠ ولك أن تسميه الحقد ٠٠ ولى ان انعته بالمقدس ٠٠ وليسمه غيرنا الايمان ٠٠ وانه لهو فى أوسع معانيه ٠٠

وعن كثب من الحقيقة ٠٠ أخذ يبدو فى ميدان الصراع اختلال فى التوازن بين الارادتين !٠٠ وبصورة مفضوحة لاح على وجه سيدى الاعياء، وانهيار القوى، وكانت تلك الاخاديد والغضون التى يتكون من مجموعها وجه سيدى تعبر عن يأس ، ومكر ٠٠

ايه بنى ٠٠ لقد ترك الميدان لينكب فى بيته الذى شيد فى أرضنا يحيك الدسائس، وينصب الشراك للايقاع بى ٠٠ ثم لاجتثاثى من هذه الارض ٠ ٠ من هذه الحياة ٠٠ أو أحدث بما يحبه هو وطغمته اللئيمة عن ثورة الاحرار ٠٠ وهل فى القوم الاحر ابن حر ٠٠ واذ لم يفلح فى شىء مما أراد ٠٠ الا ما أصابنى بهمن تعذيب رجال الدرك : حماة سيدى اثناء استنطاقى ٠٠ اذ رابهم منى صمتى ونفورى منهم، ولم يكونوا ليفعلوا معى ذلك لو ما دس على سيدى شيئا اسر به اليهم ٠٠

وما كادت تتاح له فرصة هذا التدبير الوضيع حتى أقصانى عن بيته ٠٠ وفى اقصائى طمس لعين، كان يعتقد انها عليه وعلى طغمته الجناة لفائدة الاحرار الثائرين ٠٠٠ وخبثا أراد أن يوقفنى، والعجز سواء !٠٠ وفاته ان الحرية

ليست غاية ما يصبو اليه المستعبد، انما هي سلم الحياة البشرية فأقطعني جزءا محدودا من أرضنا أفلحه لنفسي دون ان يمدني بأدنى معونة ٠٠ وأني ما زلت أذكر ما ودعني به من قول : ها اليك هذه القطعة من الارض ٠٠ واني لاعلم أنك ستحفرها كالذي يخدمها ٠٠ ولكنك ستقبر فيها كل تلك الاماني السخيفة

وسترجع حتما الى يوما ٠٠ وانك لن تجد لك عندي المكان المعهود ٠٠ سيحتله غيرك من اخوانك الذين لم تملك عليهم أمورهم رعونة الثائرين ٠٠ ولا شقشقة الخطباء ٠٠ ولم أجبه الا بنظرة يعلم هو وحده ما كانت ترشقه به من معان ٠٠ على أنى كنت اعتقد أنى لن أعود اليه ٠٠ واذا عدت لا أجده !٠٠

فما زادني كلامه ذلك الا تعلقا بمواصلة رحلتي وابادة كل العقبات في سبيل وصولي الى هدفي الاوحد ٠٠ ذلك الهدف الذى رسمته بوحي من ضميري ٠٠٠

تعاقبت على الايام، والليالي، وأنا بين احضان تلك التربة ٠٠ مهذبا ومروضا، اسحر ترابها ليستحيل تبرا !٠٠ أو كالذي ينتظر منه ذلك ٠٠٠ وكان ما انتظرت !٠٠

كنت أنعم بحمل المسؤولية، اذ كنت أشعر أني حر في تلك القطعة من أرضنا ٠٠ ولعلك تعلم ان الشعور بالمسؤولية لا يساور من النفوس الا الحرة !؟

ولم يكن لينتصر حتى في هذه الحال شظف العيش، ومرارة الحرمان على ارادتي، وقد رأيت سمات وجودي تتبلور شيئا فشيئا بعد ان تخطت مرحلة التمام !٠٠

ـ ٥ ـ ٥ ـ

عم الزحف المقدس، زحف الرجال الثائرين، البلاد من جنوبها الى شمالها فامتلات من ذلك نفوس سيدى وطغمته ذعرا ورهبا ٠٠ فتفرقوا اشتاتا ٠٠ وأخذ الخذلان بنواصيهم الى حيث الجزاء !٠ وبقيت وحدها هذه الارض بورا، بوارا !٠٠ وكنت أنا مازلت أواكب الزحف من تلك القطعة الصغيرة من ارضنا ٠٠ وانتهى الزحف وعاد رجاله مظفرين غانمين ٠٠ وكانت هذه الارض بعض المغنم ٠٠

وكان الناس يعلمون قصة الارض !٠٠ ويعلمون قصتي معها ٠٠ وحكاية المعمر ـ وانه للمخرب ـ وقطعة الارض الصغيرة تلك التي اصبحت مدرسة القرية تعلم الاطفال حب الارض ٠٠

كنت مازلت بها ٠٠ اذ وقف على ركب احرار من هذه البلاد، يسألني :
ـ بما تسمد ٠٠ وتسقى هذه الروضة الغناء !؟٠٠ وماذا تبذر فيها ؟٠٠
ـ بعظام آبائي أسمدها ٠٠ وبنجيعهم أرويها ٠٠ أما بذرها فبما انثره عليها بسبابتي من عرق الجبين ٠٠٠ أجبتهم بذلك، ولم أكن انتظر هذا الرد ٠٠
ـ تفضل هذه عقودك ٠٠ وأرضك لك ٠٠ كل الارض !٠

تقليد وتجديد

بقلم البشير الزريبي

- 4 -

كـــان من نتائج تقـدم البحوث الانسانية فى الحضارة المعاصرة ان خلـع الانسان المستنير باضواء المعرفة سترة التقليد الجامد والتعود المريض ، فبدلا من ان يؤسره سلطان الماضى بوحيه ومكانته ، برسومه ومخلفاته نراه متحرر التفكير والعقيدة ، كثير الاعتداد بنفسه ، شديد الوثوق بامكانياتها فلا هو اذن من الغباوة بحيث تشل تفكيره وتحجر عقله سوالف الحكم وخرائد العبر المنحدرة عن الامس الغابر بل هو على النقيض من ذلك لايرى معيارا للحق الا عقله وهديه ، ولا يرى نفوذا عليه لسوى البداهة العقلية والتجربة الحية، اما ما قيل وما روى مما مجدته الاجيال والالسن فكل ذلك معد فى نظره تركـة مليئة بمخلفات وميراث فكرى متنوع احتوى الغث والسمين ، الصائب الاقوم والزائغ الاعرج ، بحيث لامناص من القـول بضرورة النقد ولامندوحـة من التصفية او الغربلة المعينة .

هذا هو موقف كـل متيقظ رصين فى معركة المحافظة والتجديد بكثير من البلاد ، وهذه هى سنة التطور القاضية بان يخلف الجـديد الارقى كل تليـد اشقى ، وان تنتصر التقدمية المتعقلة على كل رجعية متعثرة ، وبالتالى تخلف الخرافات والاباطيل تؤدة الروح العلمى وتحل محل الحكمة التقليدية حكمـة اخرى اكثر فعالية وجدوى ألا وهى حكمة القانون والقاعدة العلمية .

ففى عرف الاوساط المستنيرة باضواء المعرفـة الحـق تراقب صحة الرضيع وتساس اتجاهـات نموه بمعايير يقينية علمية : فـلا قبالة الا للمختصات والمختصين فى علم التوليد وفنه ، ولا استرشاد ولا انتصاح الا برأى الاطباء فى تشخيص الادواء والتنبوء بوسائل برئها ، ولامسير لتغذية الرضع ورعايتهم الا هذه الحقائق التى تتوج كـلا من ميدانى الطب والبداغوجيا ـ اما العجائز بتوصياتهن وتدابيرهن ومثلهن اصحاب التجارب من شيوخ محنكين واساطين مستشارين فكل اولئك وهؤلاء يصبحون هزاة المجالس وعقولهم وفكرهم بعـد ان كانت مدعـاة لاجلالهم وتعظيمهم تتصير علـة للاستخفاف بهـم وسببا فى الازدراء بهم من قبل اوساطهم العائلية والاجتماعية .

فالام بهاتيك البيئات المتمدنية تمتد يدها قبيل الولادة او بعيدها الى كتب الحضانة والتغذية لتتعرف الىمعايير النموو شرائطه الصحية الجسمية والنفسيةعلى السواء فهى تحرص لاعلى التزود بالقماط واللفائف فقط بل ايضا بالقواعدالصحية والتربوية التى ستفتقر للاهتداء بها فى رعاية وتنشئة طفلها المنتظر ٠

فمثل هذه الكتب الموضوعة للامهات المتعلمات انما هى تمثل فى واقع الامر مذكرات مختصرة لمختلف الزوايا وعديد الجوانب التى يتأتى منها الاشراف على صحة الطفل ونموه ٠ ففى الاوساط المتخلفة لاتراقب الناحية الصحية الجسمية للرضيع الا بتلك النظرة التقليدية او المرتجلة ، فى حين نجد الام المثقفة فى راقى الامم ومتطورها لاتكتفى فى الحكم على المستوى الصحى او الحالة الصحية لطفلها بذلك الارتجال البدائى اوبتلك النظرة الجزئية بل نظرا لتكوينها ولمطالعاتها تصبح وجهتها فى التقدير شاملة لاعتبارات ومناحى تقديرية شتى مثل : الوزن والطول ، التغذية والنوم ، الافراز والحرارة وما الى ذلك من جوانب الحياة الجسمية والنفسية ٠

ونحن بازاء هذا النضج الى اى المستويات ننتسب ؟ اننا على الرغم من توفر الحالات التى تكون فيها الام التونسية مسايرة لروح العصر الا ان حالات التاخر والتدهور هى من الكثرة بما يبعث المرء على الاشفاق ٠ ففى كثير من الانحاء ببلادنا ما تزال بعض المعتقدات الخرافية مسيطرة على اذهان كثير من الاباء والامهات وبالخصوص حيال مشاكل التغذية والرعاية ٠ فمثلا منذ ان يولد المرء تتلقاه الاساطير الوهمية بالتعاليق والاوصاف : فلقد يعلق على صراخ الوليد الجديد بانه رد فعل للاذاية التى يلحقها به الشيطان كضريبة اولى ، بينما تكون الصرخة الاولى مفسرة فى اوساط اخرى على انها لاتعدو ان تكون عملية فسيولوجية بها يتم طرد الهواء المتسلل لرئتى الوليد الجديد لاول مرة : فبعد ان بارح الجنين بيئة الحامض الامنيونى فانه سيلاقى بيئة اخرى يكتنفه فيها الهواء ، وبدخول الهواء الى رئتى الوليد يحدث اول شهيق يعقبه الزفير الاول بخروج الهواء وطرده بقوة مولولة فى شكل صراخ ٠

والغريب فى الامر ان بكاء الرضيع يفسر دائما على انه مظهر من مظاهر التالم والتوجع فى حين ان البكاء ليس هو دائما كذلك ففى الشهور الاربعة الاولى من حياة الانسان قد يكون الصراخ والبكاء براء من كل ما ذكر بل عبارة عن نشاط فسيولوجى طبيعى به تنشط الاحبال الصوتية وتتقوى ٠

وفى الاحاديث والحوار العائلى للاسر الراقية كثيرا ما تعاتب الزوجة

الام بعلها ولعلها تؤاخذه على ان لم يترك لها مزاجا ملائما يساعدها على امداد طفلها الرضيع بما هو فى حاجة اليه من عطف وحب

فمثل هذه الام لاشك انها استنارت وتبصرت بما لـم تتيقظ اليه المرأة الجاهلة من ان غذاء الرضيع ليسهو اللبن فقط بلاللبن والحب معا • وببلادنا ففى مألوف مواقف الاميات من الامهات التونسيات ان لايعار لوجدان الرضيع اى وزن وحتى ان كان ذلك منهن فعن غير استبصار ووعى • فلقد يصادفك ان تحضر شجارا صاخبا بين زوجين متدابرين تكون فيه الام المرضع ممسكة بابنها وثديها فى فمه تحاول باصابع يديها لا امداده باللبن وحسب بل ومعه الاضطراب والضيق والقلق •

ولقد تعجب هذه الام التى تقصر حاجة طفلها على الغذاء المادى فتتساءل كيف كان رضيعها مشاكسا او مؤذيا فى عضه حلمة الثدى ؟! ويحق لهـا التساءل ان هى لم تدرك ان الرضيع فى مرحلة من مراحل نموه يجد متعته فى العض ، وان هى لم تدرك ان مشاعر الحنق على الزوج او الجارة او حتى الخادم ابان مباشرتها رضاعة ابنها قد تتسلل مع لبانها اليه حتى تعرو نفسه بالتالى فيلوى عليها مشاكسا ومتبرما فهو والحالة هذه كما لو كان يريد ان تتناوله الام بكل ما اعتادت ان تلاقيه به من مشاعر العطف والمحبة والا فلا قبول لها عنده ان كانت منشغلة عنه بمحاورة الجارة التى تقرض لها زوجها قرضا حسنا او سيئا •••

ثم المشكلة تصبح من الخطورة بمكان لما يقارب الرضيع الفطام ، اذ نظرا لما توصى به دساتير الصحة والتربية المعاصرة من ان الفطام ينبغى التمهيد لـه بحيث تتبع له طريقة تدريجية ينتقل بها الرضيع من مرحلة الثدى الطبيعى او الصناعى الى مـرحلة الملعقة دونما اى شعور بهذا التغيير الذى ان تـم فجأة كانت له اسواء العواقب وانكاها ، فمثلهذا الاعتبار لم تصللتدركه او تتعقله كثيرات من الامهات التونسيات ولهذا يكون فطام الطفل حاصلا باثـر قرار عائلى يتم بين الوالد والام فى احدى الامسيات او الاسحار •••

ثم هذا الفطام الفجائى على الرغم من خطورته التى ذكرنا كيف يتم ؟ انـه يتم بابشع واخطر الطرق فى كثير من اوساطنا • تاخذ الام بعلقمه فم رضيعها بما تضعه فوق حملة ثديها من مادة تعرف بيننا « بالمر والصبر » وهكذا بينا هو متجه الى صدر امه كمألوف عادته لاخذ قوته ولسد خصاصته بما يفتقر له وجدانه من مشاعر الامن والطمانينة اذا هو يصيب الغدر وممن ؟ ممنارتبطت

به خبرات الرضى والامن ٠٠ هى امه سنده الوجدانى ينال على يديها الدرس الاول فى غدر الانسان بالانسان ٠ فهو يلقى نكث العهد ممن لايتوقع على يديه نكث العهد ومن هذه الخبرة لاغرو ان كانت شخصية مثل هذا الرضيع شخصية **حوازية** كثيرة الشك والوسواس فى المستقبل ، فى القريب والبعيد ، فى الرئيس والمرؤوس ٠٠ فى كل احد طالما وله فى ماضى خبراته ما يبرر له توقع الغدر والاثباط لامن يتوقع منه ذلك بل ممن يستبعد منه صدور اى اذى ٠

فالفطام الفجائى مثله كمثل التوقف المباغت للسيارة التى تسير بسرعة فائقة ونتائج هذا كنتائج ذاك ٠ ففى غمرة هذا الاطمئنان لشخص الام ٠٠٠ وفى هذا الاتجاه الوجدانى الشديد تكون صدمة الفطام ذات آثار وخيمة على حياة الطفل الجسمية والنفسية نظرا لفجائية الحدث من جهة ولتأتيه بالصورة المزعجة ومن شخص الام من اخرى زد الى هذا كله ما يكون عليه الرضيع من حساسية مرهفة بالغة ٠ بعض الامهات اللائى يضطرهن الحمل الموالى الى فطام الطفل والى ابدال الحملة الطبيعية بالحملة الصناعية يغفلن او يجهلن المقوم الوجدانى فى تغذية الرضع ٠فبدلا منان يرفقن التغذية الصناعية بمناغاة الفطيم ومده فى ذلك بالدفء اللازم والضرورى يجنحن الى التحرر النسبى ويقدمن الى الوليد زجاجة مليئة باللبن ثم يتجهن الى قضاء بعض المآرب الهامة او التافهة ٠ مثل هذا الرضيع الذى اعتاد تلقى الحب عند تلقيه الغذاء المادى سوف يشعر بالقحط ولعله يعرب عنه برفض الزجاجة فى كثير من الاحيان مالم تحضر لديه امه بان تمكث بجواره ابان الرضاعة ـ هذه حال اخرى لها عظيم الخطورة فى نظر اساطين الصحة العقلية المعاصرين فقد وقفت البحوث التتبعية على ما مؤداه ان الضحل الوجدانى الذى يعانيه كثير من المجرمين والجناح وحتى مضطربى الشخصية مسبب عن فقدان السند الوجدانى فى سن مبكرة وايدت هذه النظرة احصائيات عديدة اجراها عدد غير قليل من الباحثين لهذا الموضوع كان معظمها يزكى الاعتقاد فى اهمية وجدان الام باعتباره مصدر اسعاد واشقاء لكل من الافراد والجماعات ٠ ولقد اكدت هذه الاحصاءات التى وفق اليها العلامة « برت » « وانا فرويد » نظرية تحليلية نفسية تفسر الاجرام والاضطراب النفسى فى بعض حالاته على انه مسبب عن الضحل الوجدانى الذى يفتقد معه المرء القدرة على العطاء الوجدانى على معنى ان **فاقد الشىء لايعطيه** ٠

تصويب خطاء

جاء فى الجزء الثالث من هذا البحث من لم يستطيع القيام ٠٠
والصواب : من لم يستطع القيام بواجبات الابوة ٠٠٠
وجاء فاننا مؤمنين اشد الايمان بان التعادلية الوجدانية ،
وصوابه فاننا مؤمنون ٠٠٠٠

على الضفة الأخرى

مسرحية ذات أربعة فصول

بقلم الطاهر وطار

- 2 -

الفصل الثـانى *

« المنظــر الاول »

« ضجيج عجلات الرتل يتواصل فى رتابة ·· جنات وعدنان فى زاوية شبه مظلمة بعربة خالية من الركاب ·· تمر فترة طويلة ـ الصمت مخيم فيهــا ·· » ·

عــدنـان ـ (بصوت خافت) انك ساهمة يا عزيزتى ، فيم تفكريـن ··؟ تذكرى أننا يجب أن نتكلم أكثر من أى وقت مضى ··

جنــات ـ اننى أفكر فى الاشهر السبعة التـى مضت ·· وفى حـوادث قصتك ·· انها مشحونة بالالم ·· ألا ترى يا عزيزى أن الاشهر السبعة التى مرت اغفاءة لذيذة ·· اننى لم أشعر كيف مرت ··

عــدنـان ـ أنا فكرى منصرف الى تصور الاشهر الثلاثة المقبلة ·· اننى لا أتصور كيف أقضيها دون أن تكونى معى

جنــات ـ أليس الاجدر أن نفكر فى اللحظات التى نعيشها فقط ··؟

عــدنـان ـ كلا يا عزيزتى ان ذلك ممكن لو لم تكونـى مرتبطة بالماضـى والمستقبل ···

جنــات ـ لنفكر فى ذلك فيما بعد ·· يجب أن لا نمنح للالم الا لحظات قليلة ···

عــدنـان ـ ليكن ذلك ·· لكن على شرط أن لانقضى اللحظات القليلــة فى الصمت ·

(يضحكان معا بصوت خافت)

جنــات ـ لماذا لا تطبع قصتك فى الثلاثة اشهر المقبلة ·· ؟

عــدنان ـ (يتنهد) آه ·· انها لم تنته بعد ···

جنــات ـ ان البطلين التقيا ··· أم تعنى العنوان ··؟

عــدنـان ـ كلا يا عزيزتى ·· ان البطلين التقيا بالفعل ·· ولكن هنـاك حقيقة خالدة ··· : ان اللقاء بين اثنين يا عزيزتى ليس الا نقطة انطــلاق ···

---

* انظر : الفكر ـ السنة 5 ـ العدد 7

جنـــات ـ (تقاطعه) ماذا ٠٠ ألم تزل تتمسك بنظرية اللصوصية فى المجتمع العربى ٠٠ ان قصصك لم تعد ترتكز على هذه النظرية ٠٠

عـــدنـان ـ ان لحظات الفراق التى نعيشها جعلتنى أتراجع فى مبدأ انتصار البطلين ٠٠ وأتمسك بالحقيقة الخالدة ٠٠ ما الذى يمنعنى من اللقاء بك يا عزيزتى ٠٠؟ أليس لان ذلك حرام ؟

(لحظـــات صمت)

جنـــات ـ (فى لهجة حزينة) لقد اتفقنا على أن لانمنح للاسى الا لحظات قصيـــرة ٠

عـــدنـان ـ ليس الذنب ذنبنا ٠٠ ان الظروف هى التى تتصرف لا نحن٠٠ اننا نتكيف معها فقط ٠٠٠

جنـــات ـ لنفكر فى المستقبل ما دام الحـاضر مؤلما ٠ ٠ ماذا تنـوى أن تفعل فى جياتك غير كتابة القصص

عـــدنـان ـ انوى ٠٠٠ أن أذهب الى البلدة ٠٠ وأصلح دار أبى وأخـــدم الارض ، أبذرها قمحا وشعيرا ٠٠ وأبنى فيها مسكنا ٠٠

جنـــات ـ ثم ماذا ٠٠؟

عـــدنـان ـ لا شىء ٠٠ أحصد ما زرعت ٠٠

(يضحكـــان)

جنـــات ـ (معاتبة) أتستقر هناك ٠٠ وتتركنى وحيـدة بلاأنيس ٠٠٠؟

عـــدنـان ـ كلا ٠٠ انما نحن الاثنان ٠٠ نصلح السور ٠ ٠ ونغـرس شجرة رمان مكان المحروقـة ٠٠ ونشترى سيـارة ، لابـد أن تتعلمى السياقة ٠٠٠

جنـــات ـ أتفكر فى مثل هذا ٠٠؟

عـــدنـان ـ ولم لا ؟٠ أننى منذ وجدتك وأنـا أفكـر فى الارض ٠٠ وفى جريدة كبرى ٠٠ بعد أن تنمو ثروتى ٠٠٠ انه لمن المعقول جـدا أن نستعين بالحب على الحياة وعلى أنفسنا ٠٠

جنـــات ـ وان رفض أبى أن أذهب معك ٠٠ ؟

عـــدنان ـ أستعين بالمدير ٠٠ اننى صرت أكن له صداقة دون أن أراه ٠٠ لقد نوهت به كثيرا ٠٠

جنـــات ـ لنفرض أن المدير بدوره رفض ذلك ٠٠؟

عـــدنـان ـ نحن ٠٠٠ أنت يا عزيزتى ٠٠

جنـــات ـ (تبتسم وتضع يدها على كتفه) وان رفضت أنا ٠٠؟

عـــدنـان ـ (يقاطعها بصوت حاد) كلا ، كلا ٠٠ غير معقول ٠٠ سأقتلك وأقتل نفسى ٠٠٠ أبدا لن أتصور أننا لن نكـون **لبعضنا** ٠٠٠

جنـــات ـ (تلتصق به) انه مجرد حديث

عـــدنـان ـ لكنه غير معقول ···

جنـــات ـ أتحبنى يا عدنان ··

عـــدنـان ـ (يلثمها) أتشكين فى ذلك ··؟

جنـــات ـ (تزداد التصاقا به) لن أرفض ·

عـــدنـان ـ مهما حدث ··

جنـــات ـ لنتعاهد ··

عـــدنـان ـ أعاهـدك ··

جنـــات ـ أعاهـدك ··

(يتعـانقـان) ·

عـــدنـان ـ ان اللصوص مصيرهم محقق مهما برعوا ، ننفف عن أنفسنا هـذه الصفة ··

جنـــات ـ كيف ··؟

عـــدنـان ـ (يطرق برهة) تقولين أن مديرك متقدم ··· وانه طلب منك أن تحيطيه علمـا حين تجدين شريك حياتـك ··· فلمـــاذا لاتصارحينه بالحقيقة ·· وأتقدم لخطبتك ·· وتنصرفين بعد ذلك الى تعليمك وأنا الى اصلاح المسكن والارض وجمع المـال للجريدة ···

جنـــات ـ كنت أفكر فى ذلك بدورى ·· قد أصارحه فى يوم من الايام··

(ينتهى ضجيج عجلات الرتل الرتيب)

لقد وصلنا ·· انها المحطة الاخيرة ·· يجب أن نفترق حالا فقد يكون أبى فى انتظارى ··

عـــدنـان ـ يجب أن نتقابل ·· أى يوم يمكن أن يتم ذلك ··؟

جنـــات ـ اننى لا أغادر المنزل طيلة عطلة الصيف ·· تصور أن البحر حرام على مثل الحب تماما ··

عـــدنـان ـ والرسائل أيضا ، لاشك أنك لاتستطيعين ! لابد أن نتقابل··

جنـــات ـ سأبذل كل مافى وسعى لاتمكن من الخروج كل يوم سبت على الخامسة مساء ··

عـــدنـان ـ حسنا ·· ليكن موعدنا هذا مبدئيا ··

جنـــات ـ الوداع ··

عـــدنـان ـ لاتقولى : الوداع··· قولى كلمة أخرى ··

(يتعانقان فى لوعة)

عـــدنـان ـ لنفترق دون وداع ، كأنما سنلتقى بعد حين ·· انك دائمـا ماثلة أمام عينى ··

جنـــات ـ بلغ تحياتى الى السفير .. لاتقل : أنها قالت السفير
(تذهب جنات ويبقى عدنان واجما)

عـــدنـان ـ لقد اختفت فى الظلام .. وبعد غد يذهب السفيـــر الى باجة .. هل أطيق الوحدة يا ترى ؟ اللهم صبرك ـ اللهم امنحنى الشجاعة .
(ينزل من العربة)

ستـــــار

❀ ❀ ❀

المنظر الثـانى

« بينما عدنان جالس بمقهى اذ يقف أمامه شخصان أحدهمـــا كان تلميذا معه والآخر لا يعرفه »

التلميـــذ ـ ها هو ذا يا سيدى ...

المديـــر ـ اشكرك .. تستطيع ان تنصرف (يلتفت الى عدنان ويخاطبه): أرجوك أن تسمح ياسيد عدنان ... فترافقنى لحظات ..

عـــدنـان ـ (يدفع ثمن القهوة ويقف ماذا تريد ياسيدى ..؟

المديـــر ـ انك لا تعرفنى بالطبع .. ستعرفنى فيما بعد .. أريـــد أن أحدثك فى أمر هام
(يخرجـــان)

عـــدنـان ـ من تكون سيادتك .. ؟

المديـــر ـ (متجاهلا سؤاله) لنسر مع هذا النهج انه خال من الناس .. والضوضـــاء ..

عـــدنـان ـ (فى نفسه) لم أره قط ... ما الذى يريده منى (ثم يرفـــع صوته) : الافضل يا سيدى هو أن تعرفنى بشخصك أولا ...

المديـــر ـ (كأنما لم يسمعه) تعجبنى قصصك .. تعجبنى جدا يـــا أستاذ عدنان ... ان أسلوبك جميل .. ويقينى أن لـــك مستقبلا زاهرا فى عالم الفن ...

عـــدنـان ـ العفو سيدى ...

المديـــر ـ ان أبا معقل اسم لامع فى عالم الفن ... (يستطرد) .. لقد تغيرت قصصك منذ سبعـــة أشهر تقريبـــا .. لـــماذا ..؟ اعتبرنى قارئا يريد معرفة ذلك ...

عـــدنـان ـ (فى نفسه بصوت خافت) ترى من يكون هـــذا الشخص .. أيكون صاحب دار للنشر .. ؟
(يتجه الى المدير)
انـه سؤال محرج يا سيدى . . . وباختصار . . الفن . . اى فن يتأثر ا لى حد ما بنفسية الفنان ..

المديـــــر ـ لقد قضيت جانبا من حياتك فى الالم٠٠انني أعرف ظروفك٠٠

عــدنـان ـ من أين لك يا سيدى ٠٠٠ ؟ ٠٠

المديـــــر ـ لماذا لا تكتب القصص الطويلة وتطبعها ٠٠ ؟

عــدنـان ـ لدى الآن ٠٠ قصة طويلة افكر فى طبعها ٠٠

المديـــــر ـ ترى ما هو عنوانها ٠٠؟

عــدنـان ـ انها بلا عنوان لحد الان ٠٠ لقد عجزت عن الظفر بعنوان لها ٠٠ ولعل ذلك ماجعلنى أحجم عن طبعها ٠٠

المديـــــر ـ شيء عجيب فى الواقع ٠٠ ان كاتبا مثلك تتراءى له مئات العناوين يوميا ٠٠ قل لى ياسيد عدنان : ما رأيك فى المرأة ٠٠؟

عــدنـان ـ (يقاطعه) انه خلال قصصى يا سيدى

المديـــــر ـ أعنى أنك من أنصار سفورها بالطبع ٠ ٠

عــدنـان ـ الامر كذلك ٠

المديـــــر ـ ومن أنصار تعلمها أيضا ٠٠؟

عــدنـان ـ بلا شك ٠٠ وكيف لا ٠٠٠ ؟

المديـــــر ـ لكن بشروط ٠٠ يجب أن تتوفر لديها وسائل مزاولة التعلم وظروفـــه ٠ ٠

عــدنـان ـ أرجوك ٠٠ أريد معرفة من تكون يا سيدى ٠٠ ؟

المديـــــر ـ (بخبث) أتعرف جنات ٠٠؟

عــدنـان ـ (ينتفض ويقف مشدوها) حضرتك المدير ٠٠٠ انها طريقـــة ملتوية جـــدا ٠ ٠

المديـــــر ـ (بصوت مرتفع) أنا أبوها ٠٠ أبوها الروحى ٠٠ لقد اشرفت على تعليمها فى قفصة ٠٠ وكنت السبب فى انتقال والدها الى هنا ٠٠ وفى مواصلـة دراستها الثانوية ٠٠ وانقذتهـا المـرار العديدة من الزواج ٠٠٠ لقد سهرت عليها كثيرا وما زلت ٠٠ أنا أبوهـــا الروحى ٠٠٠

عــدنـان ـ أعرف كل هذا ٠٠ انك قمت بعمل جليل يا سيدى ٠٠

المديـــــر ـ من أين لك هذا ٠٠؟ قلت انك لاتعرفنى ٠ ٠

عــدنـان ـ (بعد فترة صمت) لقد كنت أشعر بالود نحوك ٠٠ ان لـــك فضلا (يتمتم فى نفسه) لاشك أنها صارحته ٠٠ لكن ما بـال وجهه تغيـــر ٠ ٠

المديـــــر ـ باختصار ما العلاقة بينكما ٠٠ لاتحاول أن تنكر ٠٠ها هى صورتك ٠٠

(يخـــرج الصورة)

عـــدنـــان ـ لن أنكر أبدا ٠٠ انني أحبها وتحبني ٠٠٠ ان علاقتنا كانت منذ الطفولة ٠٠ لقد أو عزت لها بأن تصارحك في الامر يا سيدي ٠٠

المديـــــــر ـ تحبها ٠٠ وتحبك ٠٠ الحب ٠٠٠ لاشك أنه البريء الطاهر (يضحـــك)

لقد اختليت بها ٠٠٠ شاب وفتاة يختليان ٠٠ انه الحـب ٠٠٠ ترى من يشهد بأنكما بريئان

عـــدنـــان ـ (بصوت متهدج) الله ٠٠ الله وحده هو الذي يشهد ٠٠

المديـــــــر ـ (مهددا) يا لكما من فاجرين ٠٠ لقد غدرت بي اللعينة ٠٠ كنت أثق بها وأرى فيها الفتاة المثالية ٠ ٠ تحافظ عـلى شرفهـا ٠٠ وعلى كرامتها ٠٠ سأريها الغدر سأريكما معا ٠٠ معنى الحب ٠٠ آه لو يسمع أبوها ٠٠ سيقتلها ولا شك ٠٠ ويقتل نفسه ٠٠

عـــدنـــان ـ ما الذي حدث ٠٠٠؟ هدىء روعك يا سيدي ٠٠

المديـــــــر ـ (في حنق) ما الذي حدث أيها الفاجر ٠٠ أيها اللصوص ٠ ٠ انكم لحجرة عثر في طريق تعليم الفتاة وسفورها ٠٠ انكم ذئاب بشرية ٠٠ يا جراثيم ٠٠٠ يا ٠٠

عـــدنـــان ـ (في غضب) أرجوك انني لن أتسامح في شتمي ٠٠ أيهـــا الرجعي ٠٠ لاتغتر بجثتك الضخمة ٠٠ أحذرك اننا وحدنـــا في الظلام ٠٠٠ كف عن الشتم ٠٠

المديـــــــر ـ لك الحق ٠٠ ما دامت هي الضحية ٠٠ يا لها من فاجـرة ٠٠ انك تريد أن تقطع عنها تعليمها وتزج بها بين أربعة جدران٠٠٠ ما الذي يضيرك أنت بعد ذلك ٠٠٠ ستبحث لك عن ضحيـة أخـرى ٠٠٠ ساريها ٠٠

عـــدنـــان ـ كانت تحدثني بأنك تقدمي ٠٠ وأنك الوحيد الذي تتكـــل عليه ويتفهم مشاكلها لقد خدعتها ولا شك وخدعتني أنـــــا أيضا ٠٠٠ أخيرك بين أمرين : اما أن نتناقش منطقيـــا والا فلنتحدث بلغة أخرى ٠٠ أيهما تفضل ٠٠؟

المديـــــــر ـ لنتناقش منطقيا ٠٠٠ سترى ما معنى الطيش والفجـور ٠٠

عـــدنـــان ـ حسنا لنتناقش ٠٠ ما الذي يخيفنا من الاتصال بين الفتـاة والشاب ٠٠ أو وجود علاقة عاطفية بينهما قد تنتهي الى الزواج خاصة وأن الفتاة ندعوها جميعا للاكراع من مناهل الثقافة ٠٠ لقد كانت جنات تؤكد لي بأنك تقدمي ٠٠

المديـــــــر ـ افترض أن جنات ابنتك أو أختك ٠٠ماذا سيكون موقفك ٠٠؟

عـــدنـــان ـ (يضرب) ماذا أختي ٠٠ ابنتي ٠٠ لكن يا حضرة المدير حين كنت شابا ٠٠ ماذا كان موقفك من الحب

المديـــــر ـ (يضطرب بدوره) شاب ٠٠ شاب ٠٠ حين كنت شابا ٠ ٠ لكن اجبنى اولا عن سؤالى ٠٠٠؟

عـــدنـان ـ لكن اجبنى انت اولا ٠٠

المديـــــر ـ (فى اصرار) لا ٠٠ أنت أولا ٠٠ أنت المتهم ٠٠

عـــدنـان ـ كلانا متهم ٠٠٠ لقد أعجزتك ياحضرة المدير ٠٠

المديـــــر ـ (فى غضب) أنت المتهم ٠٠ أنت العاجز ٠٠ أيها الفاجر ٠٠ يالص ٠٠

عـــدنـان ـ سيدى ٠٠ لنستعمل لغة أخرى ان شئت ٠٠

المريـــــر ـ أتحبها بالفعل ٠٠٠ أواثق من أنك تحبها ٠٠؟

عـــدنـان ـ بالفعل ٠٠ أحبها منذ الصبا ٠٠ اننى واثق ٠٠

المديـــــر ـ أعنى على اتمام تعليمها ٠٠

عـــدنـان ـ كان عليك أن تقول هذا قبل الان ٠٠ اننا نشترك فى حـــب جنات ٠٠ أنت أبوها الروحى ٠٠ وأنا حبيبها ٠٠٠

المديـــــر ـ ضح بحبك ٠٠ بالعلاقة العاطفية التى سرعان ما تتلاشى ودعها تتم تعليمها ٠٠٠

عـــدنـان ـ تطلب المستحيل ٠٠ أبدا ٠٠ كلا ٠٠ انه يعسر على يا سيدى ٠٠ كن أبا روحيا لكلينا ٠٠ واشرف على مستقبلنا معا ٠٠

المديـــــر ـ (بينه وبين نفسه ياله من طائش ٠٠ يا للفاجر ٠٠ انه يريدنى أن أشرف على فجوره ٠٠

(يرفـــع صوته)

سأريك معنى اللصوصية والفجور ٠٠ سأستعمل معك كـــل الوسائل ٠٠ ثق من أنه فى وسعى قطع العلاقة التى بينكمـــا بكل سهولة ٠٠ لقد أردت أن أختبر مقدار طيشك فقط ٠٠

عـــدنـان ـ (فى تهكم) أيها الاب الروحى ٠٠ اتق الله فى روحها ٠٠ ان كان فى وسعك تحطيمها واشقاؤها فانه من السهل أيضـــا أن يكون فى وسعك اسعادها ٠٠ اننى لست لصا ٠٠ وما زالت لى فيك آمـــال ٠٠٠

المديـــــر ـ (يقهقه) كان من الواجب عليك أن تفكر أولا فى أرض أبيك أيها المحطم ٠٠ تاكسى ٠٠ تاكسى ٠٠٠ (يجرى نحو السيارة)

المنظر الثـــــالث

« غرفة فى منزل المدير بها خزانة كتب كبيـــرة ٠٠ ومنضـــدة تحيط بها مقاعد فخمة ، وعلى جدرانها تتناثر صـــور زيتيـــة ، المدير يـــذرع الغرفة جيئة وذهابا بينما تدخل جنات ٠٠ »

المديــــــر ـ أجلسى ٠٠ أعتقد أنك تعرفين ٠٠ لماذا طلبتك ٠٠؟

جنـــــات ـ (تجلس) أعن نتيجة الامتحان ٠٠ ؟

المديــــــر ـ (فى غضب) عن نتيجة الصورة التى وجدتها عندك ٠٠ اسمعى يا جنات ٠٠ أنت كواحدة من بناتى ، بل أنا أسهر عليك أكثر من ابيك ٠٠ أتعترفين بهذا ٠٠؟

جنـــــات ـ (بصوت منخفض) نعم سيدى ٠٠

المديــــــر ـ لقد بذلت مجهوداتى لكى تواصلى تعلمك بالبلدة ٠ ٠ ولما انتقلت الى هنا أرغمت أباك على الانتقال أيضا ٠٠ كما أرغمته على السماح لك بمواصلة تعلمك ، وأقنعته بأنه لاخوف عليك حين تخرجين سافرة ٠٠٠ واننى أنظر بعين الرضا الى مستقبلك الزاهر على ما يبدو ٠٠ ألم أقل لك المرات ٠٠ صارحينى حين تجدين لك شريكا ٠٠٠ وحذرتك من الذئاب ٠٠؟

جنـــــات ـ نعم ٠٠ قلت لى يا سيدى ٠٠

المديــــــر ـ ولكن لم تفعلى ٠٠ ولحسن الحظ اكتشفت الامر بنفسى ٠

جنـــــات ـ كنت أنوى ذلك سيدى ٠٠

المديــــــر ـ أما أنا فاننى أعرف حركاتك منذ أن انتقلتم الى هنا ٠٠ اننى أبذل مجهودات جبارة للسهر عليك ٠٠ (فترة صمت) انك لم تقولى كل الحقيقة يا جنات ٠٠٠

جنـــــات ـ قلت لك كل الحقيقة سيدى ٠٠٠

المديــــــر ـ اتثقين بى ٠٠؟

جنـــــات ـ نعم ٠٠ كل الثقة ٠٠

المديــــــر ـ ان الحقيقة ليست كما تقولين ٠٠ وأصدقاء عدنان يعرفون كل شىء ٠٠ لقد وجدت عندهم أشياء كثيرة لم تذكريها لى ٠٠٠

جنـــــات ـ لقد ذكرت لك كل شىء سيدى ٠٠

المديــــــر ـ حسنا ٠٠ المسألة الآن هى مقدار ثقتى فيك ٠٠ (يصمت لحظة ثم يستطرد) : ماذا تعرفين عن عدنان هذا ٠٠؟

جنـــــات ـ أعرف ماضيه وحاضره ٠٠

المديــــــر ـ (يقاطعها) ثم ماذا ؟

جنـــــات ـ انه كاتب قصصى ٠٠

المديــــــر ـ سأنزع ثقتى منك ان لم تصارحينى بالحقيقة ٠٠

جنـــــات ـ لماذا سيدى ؟

المديـــــر ـ (يضحك بسخرية) كنت مغرورا فى ذكائك ٠٠ ألم تفهمـــى أى شىء عن عدنان ٠٠٠؟

جنـــــات ـ ما هو سيدى ٠٠؟

المديـــــر ـ (يطرق لحظة يفكر) ستعرفين ذلك فيما بعد ٠٠ قولى ٠٠ مـاذا لو يعلم أبوك بالامر ٠٠

جنـــــات ـ (تنتفض) أبى ؟؟؟

المديـــــر ـ (يقاطعها) سيفعل مالا يعلمه الا الله ٠٠ قد يقتلك ويقتـــل نفسه ، وقد يقطع عنك التعليم والخروج من المنزل ، وقـــد يزوجك بأول راغب فيك ٠٠ انك تعرفين هذا ٠٠

جنـــــات ـ أعرفـــه سيدى ٠٠

المديـــــر ـ وهل فكرت فيه قبل الان ٠٠ لاشك أنك لم تفعلى ٠٠٠

جنـــــات ـ (تخاطب نفسها) كنت مغلوبة على أمرى ٠٠ لقد اقتحم السور بعد أن شق الافق ٠٠٠

المديـــــر ـ (فى سخرية) ماذا تنوين أن تفعلى بالجنين الذى تحملينه ٠٠؟

جنـــــات ـ (تنتفض وتصرخ) ماذا ٠٠ الجنين !؟! أى جنين ٠!؟

المديـــــر ـ (يقاطعها) ابن عدنان ٠٠ الجنين الذى تحملينه فى بطنك ٠٠ انك لم تقولى الحقيقة ٠٠؟

جنـــــات ـ (ينهمر الدمع من مقلتيها) أقسم لك ٠٠ أقسم أنه ليس هناك أى جنين ٠ انه لم يمسسنى بسوء ٠
(تستمر فى البكاء)

المديـــــر ـ نـزعت ثقتى منــك ٠٠ لقد قلت بنفسك انك اختليت واياه ٠٠ ومن يدرى ؟

جنـــــات ـ (بصوت متهدج) أقسم ، أقسم ٠٠٠٠
(يرتفع بكاؤهـا)

المديـــــر ـ (يضحك) البكاء لايجدى ٠٠٠ ان المسألة جدية وعليـك أن تفكرى بامعـان ٠٠٠ لقد ارتكبت جرمـا كبيرا ٠٠٠ واخشى ان يكون أبوك على علم ٠٠ نعم ٠٠ أخشى ذلك ٠٠

جنـــــات ـ (متضرعة) ان الامر لم يتجاوز ماذكرت لك سيدى ٠٠

المديـــــر ـ (بينه وبـين نفسه) لقد نجحت ٠٠ الفـرصة سانحـة الآن ٠٠ (يرفع صوته) اننى أبوك الروحى ٠٠ ولا أفكر الا فى سعادتك ٠٠ لكن بكل الاسف أنت تجهلين الوضع فى تونس ٠٠ ومـا تزالين صغيرة مع ذلك ٠٠ ولقد حذرتك واوصيتـك مـرات ومـــرات ٠٠٠

جنـــات ـ (تكف عن البكاء) نعم يا سيدى ...

المديـــر ـ لاشك أن عدنان حدثك عن أرض أبيه .. و ...

جنـــات ـ نعم .

المديـــر ـ وقال لك أنها ماتزال ملكا له ...

جنـــات ـ (مندهشة) ماذا ... انه سيعود اليها ..

المديـــر (يقهقه) وتعودين معه بلا شك .. لقد باع أرض والده منذ سنين ، وفى الواقع رهنها ، وشربها خمرا .. وبذرها فى الفجور ...

جنـــات ـ ماذا الخمر .. الفجور ..؟

المديـــر ـ (يقهقه) انه قصصى بارع .. وذو خيال متدفق .. لقد بلغنى أنك شربت معه الخمر ... و ..

جنـــات ـ (تقاطعه) كلا .. كلا .. أقسم . ياسيدى ..

المديـــر ـ وهل قدم لك زوجته ... انها .. بعض العاهرات .. ؟

جنـــات ـ ماذا وزوجته ... امتزوج هو ..؟ لقد ذهبت الى مسكنه ...

المديـــر ـ (يقهقه) انك لاتعرفين تونس .. وهو من أبرع الذئاب ... لابد أن يكون المسكن لاحد أصدقائه ..

جنـــات ـ (تتمتم) السفير .. أيكون المسكن للسفير ... أفى يقظة أنا أم فى منام ؟. عدنان !؟ حبيبى .. أيكون متزوجا بالفعل .. أيكون قد باع أرضه ... أسعفينى أيتها الاقدار .. اننى أكاد أجن

المديـــر ـ اتدرين لماذا ينشر القصص باسم مستعار .. بلاشك لا .. ؟ انك غبية .. وصغيرة ..

جنـــات ـ (تجهش باكية) كلا .. ياسيدى ...

المديـــر ـ فى الحقيقةان ذلك مرده لشىء بسيط .. قولى ، لم تكررين سيدى .. سيدى .. قولى أبى ..

جنـــات ـ ما هو يا أبى ..

المديـــر ـ لانه هارب من القانون .. لقد ارتكب جرائم مماثلة لجريمته معك .. وهناك قضايا أخرى ..

جنـــات ـ (يرتفع بكاؤها) أقسم ياسيدى ·· أقسم ·· العفو سيدى ··
لقد أذنبت حين كلمته ··

المديـــر ـ أتعرفين حقيقة أخرى عن حبيبك ···؟

جنـــات ـ (تواصل البكاء) اننى أتعذب يا ابى ·· كفى ·· كفى ··

المديـــر ـ كنت تتعذبين أكثر لو أرسلك ·· بل شحنك الى ايطاليا

جنـــات ـ (تقف) ماذا ·· الى ايطاليا ·· لماذا ··؟

المديـــر ـ لقد باعك ·· انه عضو بارز فى جمعية تهريب الفتيـــات
الجميلات ··· طبعا أنت تجهلين هذا ··· أجلسى ··
(تمر فترة صمت ليس فيها الا بكاء جنات ويواصل المدير) :
لست أدرى ماذا سيحدث لو لم أنتبه للامر فى الحين ···؟

جنـــات ـ كنت سأعلمك يا سيدى ·· يا أبى ··

المديـــر ـ أعتقد أنه هو الذى أوصاك ···

جنـــات ـ نعم ··

المديـــر ـ حينئذ كان موعد ارسالك الى ايطاليا قد قرب ·· لاشك فى
ذلك ·· انه لص بارع ·· أنت تجهلين تونس ·· فى الواقع
أنت بريئة لو لم أحذرك من قبل ···

جنـــات ـ اننى بريئة ياسيدى ·· بريئة ·· أقسم ···

المديـــر ـ سواء كنت بريئة أو مذنبة ·· علينا أن نفكر تفكيرا جديـا
وواقعيا ·· الامر فى الواقع خطير ·· وانني ساجمـع الادلـة ،
وأفضح الامر ·· أمره بالطبع ··

جنـــات ـ اننى بريئة يا سيدى ·· يا أبى ··

المديـــر ـ أكتبى له رسالة واعلميه فيها بوجوب قطع العلاقة ·· ايـاك
أن تذكرى له شيئا من الحقائق التى سمعتها ·· فاللعين بــلا
شك سيفر اذا علم أن أمره افتضح ·· دعى الامر سرا وسأريه··
أصدقينى ··· ألست حبلى بالفعل ··؟

جنـــات ـ اقسم ياسيدى ·· اقسم انه لم يمسسنى بسوء ···

المديـــــر ـ اذا ·· اكتمى السر ·· ولاتفشيه لاى احد ·· اما ابوك فان بلغ الامر الى علمه ·· فسأعرف كيف اخاطبه ·· افهمت ·· اياك ان تغترى فى المستقبل ··؟

جنـــــات ـ فهمت سيدى ···

(تنهض وتقبله)

المديـــــر ـ اكتبى الرسالة ·· سأعود بعد قليل لاجدها جاهزة ··

جنـــــات ـ ···· حاضر

المديـــــر ـ (وهو خارج) هذه عملية اولى ستعقبها عمليات طيلة الثلاثة اشهر

(يغادر المدير الغرفة ·· وتبقى جنات وحدها تبكى)

جنـــــات ـ (تنهض) يا الاهى ·· اننى لم افهم شيئا ·· عدنان فارس الاحلام الـذى شق الافـق ·· واقتحـم السور ·· عدنـان ·· حبيبى متـزوج ·· سكير ·· فاجر ·· بائـع رقيـق ·· بـائع ارض ابيه ·· ايكون المـدير ابى الروحى كاذبا ·· ايكون قد اختلق الحكاية من محض خياله ليؤثر فى ·· لكن لماذا ··؟ كلا ··كلا·· اننى اثـق بالمدير ·· انه ابى ·· بل احب الى نفسى من ابى ·· لقد كنت مخدوعة ·· مخدوعة ·· لاننى غبية ·· لكن عدنان ·· اتكون ياعدنان ذئبا ··؟ اتكون لصا غشاشا ·· امتزوج انت ··؟ احقيقـة بعت ارض ابيك وشربتهـا خمرا ·· احقـا تنـوى ان ترسلنى الى ايطاليا ·· ابعتنى ياحبيبى ·· اننىاحبك ·· احبك من روحى وقلبى ·· كلا كلا ·· ياحبيبى لست لصا ولا ذئبا ·· انت حبيبى ·· اننى اثـق بك ياحبيبى عدنان ·· اثق بكليكما انت والمدير ·· لكن من اصدق ؟· لن اصدق اى احد منكما ··· سانتحر ·· سأموت ·· سأريح نفسى من العذاب ··

(تسقط على المقعد وهى تنوح بينما المدير يدخل)

المديـــــر ـ لقد قلت ان البكاء لايجدى ·· لقد فـات مافات ·· لكن علينا ان نسوى المشكل بجد ·· اين الرسالة ··؟

جنـــــات ـ (تكف عن النواح) أمتأكد انت ياسيدى ··

المديـــــر ـ (فى خبث) من الجنين··لقد كنت ان اصدقك··اننى اثق بك · اكتبى الرسالة ··

(يتقدم نحو المذياع فيفتحه)

المذيـع ـ هنا تونس • • ستستمعون الآن سيداتى سادتى الى قصة بعنوان : « شجرة الرمان » بقلم الكاتب القصصى أبى معقل• • ننقلها لكم من مجلـة الفكـر • •

جنـات ـ (تتمتم) شجرة الرمان • • آه • • شجرة الرمان •

المديـر ـ (يغلق المذياع) الذئب • •انه يصطاد بقصه فرائسه • •لو يعلمون أنه عدنان • • الهارب من العدالة • •

جنـات ـ امتاكد انت ياسيدى • • ؟ امتاكد من كلامك • • انه ليس كما تقول ياسيدى • • انه طيب • ولعل اصدقاءه يحسدونه •• انه طيب • •

المديـر ـ (يشعر بحرج) اسمعى يا جنات • • أنا تقدمى، ومن أنصار الحب الطاهر النزيـه، ولا أرى أى حـرج فى العلاقـة بين الشـاب والفتاة • • وأنت تعرفين هذا، وكنت أوصيتك من قبل، ولو أن عدنـان ليس بـذئب لاشرفت انا بنفسى على حبكما ورعيتكما اننى لا أريد شيئا سوى اسعادك • • لقد كنـت مشرفـة على الهلاك ••• وحين اجمع الادلة فستحضرين بنفسك فى محاكمته • • ستسمعين ما يدهشك أفهمت • • ؟ اننى أسعى وأناضل من اجل سعادتك ••• لقد لوثت شرف عـائلتك وشرفى انا •• لكنك بريئة لانك تجهلين حياة العواصم • • هات القلم والورق وأكتبى • ••

جنـات ـ (تخرج من محفظتها قلما وورقة) ماذا أكتب يا سيدى • •؟

المديـر ـ اكتبى ما بدا لك • • ثم اقرئى على ما كتبت • •

جنـات ـ (تشرع فى الكتابة) حاضر سيدى • •

المديـر ـ (يبتسم ويحدث نفسه) ستستمر المعالجة كل يوم طيلـة ثلاثـة أشهر • • سأطبق كل الاساليب النفسية لاقتلاع الجرثومة• • •

(ستـــار)

المنظـر الرابـــع

« فى غرفـة عدنــان • • قوارير عديدة من الخمر متناثـرة على الارض عدنــان ينهض ويسقط ويهذى » •

عـدنــان ـ اشارات لاسلكية • • لاسلكية • • اشارة مفهومة وعشر، لا•• تلك هى تصرفات الحياة • • الحياة هذه • • الحياة • • اننى لا أفهمك أيتها الحياة • • اننى منقطع عنك • • تى • • تى • • تاتى • • تى • • لا أفهم شيئا • • كان ماض ثم ولى • •فلم يعد لى لا أمس ولا غد• • • ثم كان حاضرا فكان لى أمس وكان

لى غد ٠٠٠ ثم توارى الامس والغد ٠٠ اننى الان منقطع عنك يا أيتها الحياة ان الخط اللاسلكى غير مرتبط بيننا ٠٠ اننى لم اعـد افهـم معنى لاشاراتك ٠٠٠ انا لا شىء جثـة تتحـرك ٠٠ من لا شىء ٠٠ لا امس ٠٠ ولا حـاضر ٠٠ ولاغـد ، يجب ان تكون هذه الجثة ساكنة وأن تكف عن الحركة ٠٠ الانتحار ٠٠ الانتحار ٠٠ الموت ٠٠ الفناء الكف عن الاصغاء لاشارات غيـر مفهـومة ٠٠

(يخرج المسدس من جيبه ويواصل) :

يا أيتها السماء ٠٠ يا أيتها الارض ٠٠ يا أيتها العواصف ٠٠ يا أيتها الامواج ٠٠ يا موت ٠٠ يا حيـاة ٠٠ الجميـع بلا معنى ٠٠ بلا مفهوم ٠٠ لاننى أنا كذلك ٠٠ أجل كذلك لقد انتهـى كل شىء ٠٠ لا أب ٠٠ لا أم ٠٠ لا حـب ٠٠ لا جنات ٠٠ لا مـاضى ٠٠ لا حاضر ٠٠ لا مستقبـل ٠٠ انقطـاع تام ٠٠ السلبيـة ٠

(ينفجر بالبكاء بينما يدخل نور الدين يغنى) :

نورالدين ـ اش لوننـا يا حبيبى اش لوننـا ٠٠ آه مـاذا أرى ٠٠ ؟ عدنان ٠٠ أخى عدنـان ٠٠ ماذا تفعـل ما بك ٠٠ ؟ انـك تبكى ٠٠ المسدس ٠٠ آه يا عدنان يا اخى ٠٠

(يسرع اليه ويدوس قوارير الخمر الفارغة)

هات المسدس ٠٠ يا الاهى ما الذى حدث ٠٠ ؟

(يتناول المسدس من يد عدنان ويختطفه)

عـدنـان ـ (يقهقه قهقهة جنونية) تى تى ٠٠ تاتا ٠٠ تى ٠ تى ٠ تا لم يكن لى غد فافـرغت كاسى ثـم حطمتها عـلى شفتيه وسافرغ الـدم من جثتيه ٠٠

(يقهقه ويحاول السقـوط)

نورالدين ـ يا الاهى ٠٠ فى أى حلم أنا ٠٠ ؟ عدنـان ٠٠ لم تشـرب الخمر ٠٠ لم تفعل ذلك ٠٠ ما الذى حدث ٠٠ ؟

عـدنـان ـ (يهذى) حيثما شاء الحى وضع رأس الميت ٠٠

(يقهقه)

أليس كذلك ٠٠ بلى، بلى حيثما شاء الحى وضع رأس الميت ٠٠ (يصمت لحظة) أعاهدك يا حبيبى ٠٠ أعاهـدك يا حبيبتى ٠٠ الحب والعهود ٠٠ كلاهما كلام أجوف عندنا ٠٠

نورالدين ـ (يضع عـدنان فوق السرير) اننى لا اعى شيئا ٠٠ لا اصـدق شيئا، تركتك فرحا مسرورا ٠٠ ما الذى حدث يا ترى ٠٠ ؟ أيكون المدير قد ارتكب شيئا ٠٠ ؟ أتكون قد ماتت ٠٠ ؟

عـدنـان ـ (يقهقه) المدير . . الاب الروحى . . الروح . . الروح . . الروح . . يا سفير . . هل تفقه شيئـا . . تـيء . تـيء . تـيء تاتا . . تيء . حسب الاصطلاح يا سفير، ما هى الاشارات التى تتصل بها . . ان اباك حى . . وأمك كـذلك . . لـك وكر . . لـك الامس واليوم والغد . . انك متصل بالحيـاة . . أما أنا . . فلا شىء . . بقايا قارب تعبث بها الامواج . . لا شىء . . لا شىء . .

(يبكى بصوت مرتفع)

نورالدين ـ اننى سأبكى . . انك فى حالة يرثى لها يا أخى . .

عـدنـان ـ (يكف عن النواح ويقهقـه) أتبكى يا سفيـر . .؟ اننى لم أرك تبكى قط . . ان أفضل عبادة دمعات تنهمر سخنة . . ابك يـا سفير . . . ابك على لا شىء . . .

نورالدين ـ (يبكى بصوت خافت) ما الذى حدث . .؟

عـدنـان ـ (يضحك) حدث أنك بكيت . .

نورالدين ـ ما الذى حدث لك أنت . .؟

عـدنـان ـ ما الذى حدث لى أنا . . أتعنى ذلك . . قـل لى . . انـه شىء بسيط . . انقطاع عن الحياة ليس الا . .

نورالدين ـ (يكف عن البكاء) انك حى . . كيف . . اننى لا أفقه شيئا . .

عـدنـان ـ ناولنى قارورة خمر وسأحدثك . . يجب ان تعرف الحقيقة قبل أن أموت . .

نورالدين ـ « يتردد ثم ينـاوله القـارورة » انك شـربت كثيرا . . انهـا الاخيرة . .

عـدنـان ـ كيف حدث الانقطاع عن الحياة . . شىء بسيط . . بعد انتظار ثلاثة اشهر كاملة . . وبعد الذهاب الى حمام الانف كل يوم سبت بدون جدوى . . اعترضت طريقها اليوم وأردت أن أخاطبها غيـر أنهـا تجاهلت وجودى . . وفى القطار، هناك، أخرجت الرسائل التى كنت كتبتها فى الصيف دون أن أتمكن من ارسالهـا اليـهـا . . وناولتها اياها . . لكن . .

(ينهى قارورة الخمر التى فى يده)

لكن لم أكد أرجع الى مكانى حيث هناك بعض من معارفى وأصدقائى حتى كانت الرسائل تتساقط على رأسى واحدة واحدة . . وكانت هى تكيلنى لعنا وشتما . . هذا ما حدث . .

(يمسك رأسه بيده)

نورالدين ـ فضاعة . . جناية . . غدر . . دناءة . . انك تحبها

عـدنـان ـ لقد تنكرت . . ايه . . حيثما شاء الحى وضع رأس الميت . . لقد نجح المدير . .

نورالدين ـ وماذا فعلت بعد ذلك ••؟

عـدنـان ـ ماذا فعلت ••؟ لا شيء •• فتحت باب العربة لالقى بنفسى غير أنها أسرعت فأمسكتنى ••

نورالدين ـ (مندهش) هى التى أمسكتك ••؟

عـدنـان ـ فالتفت اليها وناولتها صفعتين حادتين ••

نورالدين ـ حسنا فعلت •• انها تستحق الموت •• ثم ماذا ••؟

عـدنـان ـ اننى ها هنا •• وبعد لحظات سأتركك وحدك •• لقد قررت الانتحار •• اننى لم أجد ما سأفعل فى هذه الحيـاة •• أيـن مسدسى ••؟

نورالدين ـ لا تفكر فى مثل هذا ••• انه جنون ••

عـدنـان ـ الجنون •• ما معنى الجنـون ••؟ أتفضـل لى البقاء معانيـا آلام السلبية ••لا امس لا غد لا يوم ، لا راحة ابدية انشد •• انت المجنون يا سفير •• بالفعل أنت المجنون ••

(يقهقه)

نورالدين ـ (يبكى) انك طيب يا عدنان •••

عـدنـان ـ •• ولم تبكى ••؟

نورالدين ـ (يرتفع بكاؤه) لاننى تصورتك ميتا •• جثة هامـدة ملقـاة على السرير •• يجب أن تعيش ••

عـدنـان ـ (يقهقه) أما أنا فاننى حين أتصور جثتى ملقاة والدماء تسيل •• اصـرخ فى وجـه الحياة ••

(يرفع صوته) :

لا أرتضى •• لا أرضى أن أحيا من أجل العذاب والشقاء •• انك لا تستحقين ذلك ايتها الحياة••انه ليست لى ارادة فى وجودى•• ولكن لى ارادة فى انهاء وجـودى وسأمـارس ارادتى لا لا •• لا ارتضى ايتها الحياة ••والعنك ••لست فى حاجة الى اشاراتك •• الى تصرفاتك الحمقاء •• لا، لا، كلا •• سأموت •• سأنتحر ••

(ينهض ثم يسقط)

نورالدين ـ انك مريض يا عدنان •• كان عليك أن لا تشرب الخمر •• ان الخمر لا يغير ما حدث ••

عـدنـان ـ (يقهقه) انك الوحيد الذى يبكى على ••• اشكرك ياسفير •• لكن عليك أن تضحك كذلك ••

نورالدين ـ اننى لا أحسن الضحك والبكاء فى وقت واحد مثلك ••

عـدنـان ـ (يواصل الضحك) اضحك يا سفير •• جرب •• اضحك •• كف عن البكاء واضحك •• ألا ترانى أضحك •• أضحك •• أضحك ••

(يحاول أن ينهض غير أنه يسقط مغميا عليه) •

نورالدين ـ (يسرع اليه) .. عدنان .. أمت .. أمت يا عدنان .. أتكون قد تناولت السم .. عدنان أخى . (يبكى بينما يسمع طرقات بالباب) ترى من الطارق .. من .. من . حاضر ..

(يسرع الى الباب ثم يعود بعد لحظة)

برقية .. برقية باسمك يا عدنان .. عدنان استيقظ .. قم يا عدنان لا تمت .. لا لا لن تموت

(يستيقظ عدنان)

عـدنـان ـ أين أنا يا ترى ..؟ فى أى عالم .. السفير أنت هنا ..؟ أين كنا .. ؟

نورالدين ـ خذ يا عدنان هذه برقية أتت الآن .. اقرأها يا عدنان .

(يتناول عدنان البرقية ويقربها من عينيه وينتهى الى سمعه صوت جنات)

جنـــات ـ عزيز قلبى عدنان .. لقد . ارتكبت جريمة نحوك .. سامحنى ياعدنان .. اننى أحبك الذنب ليس ذنبى .. العفو يا حبيبى .. أرجو أن أراك غدا ..

(المخلصة جنات : حمام الانف)

عـدنـان ـ (بينما البرقية ما تزال بين يديه) كلا .. كـلا لقد انتهى كل شىء .. لقد سبق السيف .. لقد ألقى القبض على اللص .. كلا .. كلا ..

(صوت جنات متواصل) .

جنات .. جنات .. اسم فقط .. حروف فحسـب .. حلـم، خيال .. طيف .. سيبقى ان حييت بين السطـور .. بيـن الكلمة .. انه ليس ذنبك، وليس ذنبى كذلك بل ذنبنا معا .. بل ذنب الحياة .. انه .. انه ذنـب الحـب .. لقد انتهى كل شىء ... الوداع يا روح جنات .. جنات انك فكرة فحسب .

(يسقط على الارض)

نورالدين ـ (يسرع اليه) عدنان .. عدنان .. انها ما تزال تحبك .. ارفق بنفسك يا عدنان ...

(يحتضن عدنان)

(ستـــــار)

(يتبع)

أيها الشعب

بقلم الهادي نعمان

ايها الشعب خلّ عنك التأخّرْ   واستفق للعلى قويّا مظفّرْ
انما المجد ليس في الوهم لكن   هو في الجدّ والضمير المفكّرْ
ايها الشعب لا تعش في خمود   تتغنّى ماضي الجدود المؤسّرْ
انما الدين يقظة وطموح   واعتزازٌ بالفكر في كل مظهرْ
وابتعاد عما يعوق ويثني   همّة الجيل عن بلوغ التحرّرْ
واجتهاد في كل امر دقيق   وسناء منه الحقيقة تبهرْ
ايها الشعب لا تعش في خمول   واتكال فيه الخطى تتعثّرْ
ولتكن قوة مدى الدهر صلبا   تتحدّى الظلام دوما وتفخرْ
جاهد الفقر والجهالة والمو   ت جهاداً منه المنى تتفجّرْ
واكتسب في الحياة قوة جبا   رٍ شديد عنه الردى يتأخرْ
قاوم الجهل ما استطعت جهاراً   ومن الجهل خشية وتقهقرْ
انما الحريات تبغي مجالا   هو فوق العادات بالفكر يزخر
فاستفق ثائراً جسوراً ومزّقْ   حجب الليل والظلام المكدّرْ
مثلما كنت في جهادك للظلـ   ـم قويّا تكون اقوى وأظفرْ
من سلام الضمير شيّد شبابا   ومن الفكر امّةً ليس تقهرْ
فالشباب السليم ينشىء عهداً   تتغنّى به الاماني وتكبرْ
والفؤاد الذكي مصدر خيرٍ   والحجى مصدر لكلّ تحرّرْ
فتحرّرْ من القيود ورتّلْ   آية المجد في الصباح المظفّرْ

رقصة الهرهوب

مسرحية في فصل واحد

بقلم صالح القابسي

الاهـــداء

اليك ! انت الذى مررت بك سحرا ووجدت مخبزتك مضاءة بنور اصفر واحمـر ٠

فدعوتنى لاقضى بجانبك ثـلاث دقائق وتعطينى خبزا شريفـا ٠ ولكنى قضيت معك ثلاثة قرون عكرتها على وكدرتها ٠ واخذت خبزا ٠ وطلع الصباح وانا فرح بنصيبى ــ وسمعتك تتلو : وتصريف الرياح آية

اليك انت فى جزئيتك وكليتك ، فان رفضتها فهى لكل مؤمن انسان !

جمهور من الطلبة والاساتذة وعلية القوم يتهامسون على مقاعدهم حول مغزى المسرحية ، دخان التبغ يتصاعد فيضفى على القـاعة شيئا من القتامـة والـرهبة ٠

يرفع الستار ، ويظهر باب « زاوية » كبير طلى بلون اصفر ، وفيه رسوم صلبان واشكال هندسية مختلفة ــ كتابة بالاخر فـوق الباب باهتة معتمة ، كتبت بالخط الكوفى : لاتهتم واللى فى علـم الله ينتم وفى سقيفة الـزاوية جرتان بالماء كتب عليهما بخط ردىء : اشرب بالشفاء اشرب بالهناء ٠

يظهر فى الداخل جماعة من « الاولياء » كبار مسنون يقودهم كهل لايتجاوز الخمسين سنة والكل ينشدون : دلاع ، بطيخ ، دجاج ، الله ، يظهر من بيت جانبى ، شبح طويل ، نحيل نحيف ، قذر يتوقف قليلا بجانب الحضرة وترى عليه علامات الارتياح والبهجة ٠

يندمج مـع الجماعة ــ بدون ان ينتبهوا اليه وينشد معهم : دلاع ، بطيخ ، دجاج ، الله ــ وتحمى الحضرة ويرتفع صوت الشبح حتىيشعربه الاولياء والكهل

الكهل واسمه سعدان : يصيح !

هرهوب ، حرحوب ، وحق الكركوب ، فى بيتنا رجل ٠

الاولياء يندهشون ! هلول ، هلول ، وحـق السعدانية ، لو ظفرنا بـه لسقيناه ماء وتبنا باردا ٠

سعــدان : انظروا طعامكم هل به احد ٠

الاوليــاء : يتلمسون الهواء يفتشون ولا يظفرون بشيء ٠

يرتفع من بينهم صوت :

هلول هلول وحق السعدانية والثلاثة اشهر القمرية ، ماوجدنا احدا في بيتنا

سعــدان : هرهوب ، حرحوب وحق الكركوب والاطعمة والمشروب لقد نزل بكم طارق وحــل بطعامكم سارق ، والنجم اذا هوى واللحم اذا انشوى ، ماضل سعدانكم وماغوى

الصــوت : هلول ، هلول ، وحق السعدانية والثلاثة اشهر القمرية ثيابنــا نظيفة وارواحنا خفيفة ، واسوارنا منيفة

سعــدان : في سورة من الغضب : هــرهوب ، حرحوب ، وحــق الكركوب ، والاطعمة والمشروب ، لقد اصابكم شيء من العقل ، فتنكبتم سواء السبيل ٠ ارجعــوا الى اوانيكم بعد ان تــولوا مدبرين وانظروا امركم بعين واحدة ، عسى الله ان ياتي بالفتح

صــوت ثان يرتفع : هلول ، هلول ، وحــق السعدانية ، والثلاثــة اشهر القمرية انك على كبير من الحق ٠ لنقف جميعا ، ونحص جمعنا فان ذلك ادعى لليقين

صــوت ثــان يرتفع : هلول ، هلول ، وحق السعدانية ، والثلاثــة اشهــر واتسعت خروق ، صدق سعدان وحق كسرى والموبذان ، عددوا ضمائركم ، وحققوا من امركم ٠

سعــدان (يأمر الجماعة) كفاكم رقصا وانشادا

يكف الاوليــاء عن الرقص وتعــوض الانشودة : دلاع ، بطيخ ، دجاج ، الله ، بانشودة الهدوء والسكينة : سلام على الطعام سلام عــلى المــدام

سعــدان : هرهوب ، حرحوب ، وحــق الكركــوب والاطعمة والمشروب لقد تدلعتم ، فأثقلكم البطيخ وطار بعقولكم الدجاج واغلق الله عــلى بصائركم فــانتم لاتنظرون ، وتالله لو لــم تخرجوا من بينكــم الدخيل ، وتسرجوا على نخبه القنديل ، لحلقت رؤوسكم وانزلتكم بئرا عميقة

الاوليـاء (فى حيرة وارتباك) يأخذون انفسهم بين ايديهم ، يخلصون منها شيئا يظهر دخان متزايد يخرج من بينه الشبح فيصيح الاولياء جميعا هلولون ، هلولون وحــق السعدانية ، وكل الاشهر القمريــة ، ماكذب كهلنا وماغوى ٠ هذا هو الدخيــل ، والنزيل ٠ خــذوه فغلوه

يتقدم وليان اغبران ، نحيلان ، يقيدان الشبح ويضعانه امــام الكهل (ينقطع الانشاد تماما)

الكهــل : (وقد ثار غباره واستشاط غضبا وجحظت عيناه يخاطب الشبح) دردوز ، دردوز ، ياقليل الادب ، ووقاح العجم والعرب ، الم تقرأ قوله تعالى ، ولا تدخلوا بيوتا غير مسكونة حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها صدق الله العظيم ــ يقبل يده ويضعها على جبينه ــ

الشبح : يتصنع الوقار ويفعل كما فعل الكهل ويقــول هامسا ولتعرفنهم فى لحن القــول

الشبح مغاضبا ــ كنت اظن ان نظرك الـدائم الى الكتب والمصاحف سيعطيك منظارا تبصر به خبزى ٠ وتوفينى حقى من الميزان ولكنك رميتنى بالاختلاس وانا قد مكثت فى بطن امى تسعة اشهر كاملة ٠ فاتق الله فى خبزى ولا تغبنى فيه

الكهل ــ وقد لان لقول الشبح ٠ هل تحب ان تقول انك كامل الحلقة وتستطيع الرقص مع الجماعة ؟

الشبح : وزيــادة

الكهل : هات ما عندك ٠

ينادى ملائكته ويامرهم بفك قيود الشبح ويقول :

سترقصون الآن جميعا رقصة الروك اندرول

بعض الاولياء : هلول ، هلــول وحق السعدانية وكــل الاشهر القمرية نحن ياسيدى لم نتمم التمارين فى هذه الرقصة ٠ فان رقصة الهولاهوب قد شغلتنا واعجبتنا ووالله لو استبدلت الروك اندرول برقصة الهولا هوب لكان الامر حسنا

ترتفع ضجة من بقية الاولياء تؤيد قول الاول وتحدث جلبة

الكهل : هولا هولاهب ، هولا هولاهب • ويعين طبقة الصوت بينما ينهمك الجماعة فى حزم امرهم

وبعد ان وضعوا الدفوف فى خصورهم ابتدأ التصفيق بنغمة الرقصة • وقوى التصفيق واشتد الصياح ، وعلا الدخان وصال الشبح وجال ، وبرز ، وبز •

فاندمج معهم الكهل • ولكنه مالبث حتى غادر الحلقة واختار زاوية وبدأ يرقص وحده وينشد :

سهرتنا وحيدة فى صالة اللوريدة
قد كان ليلا (هانى) تغمره الغوانى
يبهتنى الجمال والسحر والدلال
واللطف والتثنى وحسنها فتننى
شعورها مخبلة اطرافها مذبلة
عيونها كحيلة فتانة قتيلة
نظرتها جميلة لكنها بخيلة
لو لقنتنى حيلة لكنت فى سعادة

اقضى لها العبادة

ثم يعود يتفقد انتظام الجماعة ويرقص معهم ، وينسجم قليلا ولكنه لايلبث حتى يغادر الحلقة ويأمر الاولياء بالكف عن الرقص اخرجوه ، اخرجوه • تتوقف الجماعة

وجمعوا امرهم فاذا الشبح يتضاءل ويسير نحو السماء ، حيث اللانهاية والحقيقة

وبينما يستمر القوم فى تفتيشهم ، يتقدم طفل من خشبة المسرح وبيده خبزه ويصيح

يالسخرية القدروياالفضيحة الانسان ، لقد رقص الشبح ، ولكنكم لاتبصرون (ستار سريع مصاحب بضربة ناقوس كبير • فاذا الناس فى ديارهم يلعبون)

كرمة قومي

بقلم عمر البوصالي

I

أغصانك مدت ، ياكرمة قومي
وغرسة أمي
فاستطالت حقبا ...
في ابــاء ... في رواء ...
كادت تنال الاربا ... !

❀ ❀ ❀

كنت ياكرمة قومي
نضرة الحقل الجديب
كنت ظلاله ... كنت جماله
كنت قبلة الغريب
في سؤاله عن كماله ... عن مناله

❀ ❀ ❀

وتشابكت أغصانك فوق الخميله
وحكت أوراقك تيه الخليله
وتدلى العنب منك شهيا في العيون
وجرت شع الاماني في القرون

❀ ❀ ❀

واتى قومي الحديقة
وكالطريقة ...
احضروا الف اناء وقمر !
وشربوا نحو التسامق والفلاح
ونعموا هذر التراشق بالصلاح
وكان تحت كرمتنا المراح

II

وراقص قومي القمر
رقص البقر
رقص الحيارى ... رقص السكارى
رقص غبي كالشلل
رقص نجم قد افل
وا ... غرسة امي
من رقصة قومي

❀ ❀ ❀

واتاك الناس سكان البعاد
وتنادوا ... يا انام ! ياعباد !
النفير !...
كرم الحمير قد نضج
فأرتموا من كل فج ...
كالبلاء يأتي المساء
من كل اوب من كل صوب
واهل قريتنا الهوام
كانوا نيام
نوم الوحل ... نوم الثمل

❀ ❀ ❀

وجردوك الادعياء
من كل عطر من كل ثمر
وأمعنوا فيك التشفي
فقطعوك الف عرف
لهفي عليك ...!
ياخمرة الجد ونشوة الؤلد ..!

III

كيف انخذلت ٠٠٠

كيف سالمت عـداك ؟

كيف هويت من عـلاك ؟

الى الحضيض ٠٠٠ الى المريض ٠٠٠

واذا انت خنـوع ودموع

بعـد التكبر والغـلاء

عـدت حطام ٠٠٠ عدت فناء !

❀ ❀ ❀

ولـم يكفهـم منك ولاك

فأدعوا ملك فضاك

ليمنعـوا عنك الهـواء

حيث التضرع للسماء !

وكفنـوك ٠٠٠ ليدفنوك

بعد ان قالوا وحتى قومى

وبنـى أمـى

وكـل آهـل قد رآك :

حـان بـلاك ٠٠٠

فلتوارين العفـاء

فما ثـم فى الميت رجـا ؟

❀ ❀ ❀

وفى الطـريـق ٠٠٠

يـوم ان ضن الصديق

داسك الركب ٠٠٠ والكلب

بعـد ان كنت امـامـه

IV

عـدت حقيرة فى زمرة المتخلفات

عـدت عتيقة لاتجارين الحياة

انت يازينة الدرب

يـا آيـة الـرب !

❀ ❀ ❀

واخيرا وبعد هاتيك القرون

قام النيام السادرون

من اهل قريتنا الحرون

من كهف قومى ٠٠٠ من بنى امى

قـد سمعـوا نـداك

❀ ❀ ❀

بعـد ان بح نـداك

ومـد واحد منهم يـدا

ليرفع اغصانك فوق السماء

فـوق العريش

وسرت فيك الحيـاة

فى الرفاة ٠٠٠ فى الرمم

فاستطلت فى رفاه ٠٠٠ فى نعيم

وضحكت بالردى

وانشيت سؤددا

وعادت العرف والورق نضيرة

تتدلى فى رواء ٠٠٠ فى امتـلاء

وبكر الثمر شهيا من جديد

وقـد انجلى العهد البليد

فيه رخاء ٠٠٠ للالى رفعوا لواك

فيه جـزاء ٠٠٠ للالى حثوا خطاك

أضواء على أدب الدوعاجي

بقلم حسونة الجسويني

هذه مقتطفات من حياة علي الدوعاجي (1) العائلية ولعلها تنير القارىء وتجلي له السبيل ليفهم ما كتبه وما نظمه

ولد الدوعاجي سنة 1909 بتونس بنهج مارس قرب حي باب سويقة ۰ واغتبط والداه به اذ هو الذكر الاول الذي انجباه وقد بلغت اخته عائشة في ذلك العام التاسعة من عمرها ۰ وكان علي محل العطف عند ابيه ومحل العناية والحب عند أمه وأخته ۰ ومات ابوه وهو لم يتجاوز الثالثة من عمره فأصبح يتيما وازداد بذلك شغف امه بـه وتضاعف عطفها عليـه ۰ وكانت لاترفض له امرا أبـدا وتسعى دوما لارضاء كل شهواته وتلبية جميع دعواته ۰ وهكـذا نشأ عـلي « مدللا » مبجلا حرا في جميع تصرفاته

وقد دخل مدرسة قرآنية في الحي قرب داره وتعلم اللغتين وبارحها في الثانية عشرة من عمره وقد ادرك بداية سن المراهقة وكما هو شأن المراهقين اراد ان يتوخى هدفا لحياته فأعرض عن التعليم الثانوي ولم يرض لنفسه الدخول الى جامع الزيتونة واختار مهنة التجارة واراد ان يكـون تاجرا كبيـرا ذا شأن ومـال ۰ واقترح على امه ان يتعلم مهنة التجارة في دكان احد اصدقاء ابيـه فتمانعت في اول الامر والح عليها فرضيت ودخل على دكان السيد المبزع « كصانع » ولـم يلبث ان اصبح اجيرا بهذا الدكان وأتقن التجارة وشغف بها ۰ ولم تمض مـدة حتى رأى نفسه اهلا لفتح دكان باسمه والقيام بشؤونه وحده وطلب من امـه ان تعطيه المال اللازم ليحقق رغبته فامتنعت خوفا عليه من ان يضيع ماله وتتالـم من ذلك نفسه والح عليها واصرت على الامتناع

وكانت هذه اول مرة يجد فيها امه عرضة في سبيله وانجر له من ذلك صدمة اهتزت لها نفسه وتداولتها ضروب القياس والثورة ثم هدأ هدؤه واستقرت حاله ورجع له الامل من جديد فجعل لنفسه هدفا آخر يسعى اليه في حياته واراد ان يصير فـلاحا مثل ابيه وطلب من امه ان تسمح له بان يعتني بنفسه بفلاحة الارض التي خلفها له ابوه واقر اليها بأنه يريد ان يصبح فلاحا ۰ فأمتنعت امـه هذه المرة ايضا خوفا على أبنها من اخطار السفر وشقاء مهنة الفلاحة واقرت هي ايضا بما تضمره له من خير قائلة ان أبنها العزيز ليس في حاجة الى اتخاذ عمل وما خلفه له ابوه من مال يكفيه ليعيش طول حياته مطمئنا من دون عمل

---

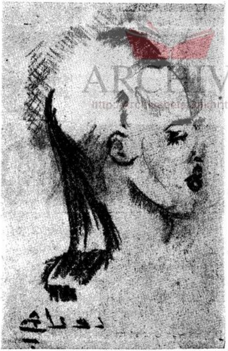
1) مرت على وفاة الدوعاجي 11 سنة

فاصطدمت نفس علي بهذا الموقف وتأججت واضطربت · وكان له ان يثور ويهجر منزله وامه أو ان ييأس ويفشل ويخمل ويعيش بلا هدف فأختار اليأس والفشل والخمول لان في هجرته عن منزله قضاء على حياة امه اذ كانت تحبه حبا مفرطا وكان علي ايضا يحبها ولا يروم لها الاسى

وهكذا دب اليأس في نفسه وساد الخمول حياته ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره · وكان لهذا اليأس عواقب فتعاطى على المخدرات وشرب الخمر واقبل على تحطيم جسمه كانه يريد ان ينتقم من غيره فلم يجد احدا فأنتقم من جسمه

وكان من المتوقع ان يسعى حثيثا في هذه الطريق طريق اليأس والخمول حتى تفنى روحه بفناء جسمه لكن نفسه تابى الخمول ولا تروم الجمود · وان حرمت من النشاط المادي فقد وجدت في ميدان الفكر والروح غذاء ومحركا · وهكذا كانت عزلة الدوعاجي عزلة ناشطة نشط فيها فكره فكتب المسرحيات الاجتماعية ونشطت فيها روحه فنظم الشعر الجميل · وكان ينام النهار ويسهر الليل وهو يكتب وينظم ولايبارح بيته الا الفينة بعد الاخرى · وكان يؤمه اصدقاؤه الى منزله ويتجاذبون اطراف الحديث في الادب والشعر والفن وقضى عقدا من حياته على هاته الحال حتى دب مرض السل في جسمه فانتقل الى اريانة وقضى فيها حولين سعيا لتحسين حاله ثم قضى شهرا بمستشفى شارل نيكول وبارحه ثلاثة ايام قبل ان تناله المنون في 2 شعبان 1368 هـ 1949 م

وبعد وفاته انعزلت امه في بيت قضت به تسعة اعوام وبارحته يوم قبضت لتلتحق بابنها العزيز في دار البقاء ·



علي الدوعاجي كما يرى نفسه

الذكرى العشرون لوفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس

بقلم مفدي زكريا

ها انا ذا اعاهدكم على ان اجعل حياتي وقفا مؤبدا على الاسلام عموما والامة الجزائرية خصوصا ما بقيت الروح ، ومن بدل او خان فليطبق عليه :

« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب · اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »

ذلك هو القسم الذى اقسم بـه ابن باديس يوم ان رجع من تونس حـاملا شهادة العالمية وانتصب بقسنطينة عام 1912 يبنى العقول وينشىء الاجيال

وانه لقسم لو تعلمون عظيم !

فهل وفى عبدالحميد بما عاهد الله والامة عليه ـ ؟

لم يكن ابن باديس مصلحا دينيا فحسب ، ولا وطنيا صادقا وصحافيا واعيا فقط كما يقولون ·

ان ابن باديس كان امة · ان ابن باديس كان ابا لجيل · ذلك الجيل الصاعد الذى ابتدأ سنة 1925 بالثـورة عـلى الجهالة والضلال وانتهى 1954 بالثـورة على السلاسل والاغلال ·

انه يفتخر بهذه الابوة ـ انه يقول :« انا لم انجب اطفالا ولكنى اب ، لان كل الجزائريين ابنائى »

ولنترك التاريخ يتحدث

ولد ابن باديس فى قسنطينة عام 1889 فى احضان عائلة مترفة تتمتع بمركز اجتماعى ممتاز · وكان والده محمد مصطفى من اغنياء البلاد ووجهائها المحظوظين ولو شاء عبدالحميد لعاش مثل ابيه وافراد عائلته فى بحبوحة من العيش ووفرة من الثراء وجانب من تقدير السلطة الحاكمة · وان يبقى مدللا كما كان صبيا · وان لايحرق مخه وينهك جسمه بالعمل الفكرى الكادح ، وكان فى امكانه ان يتمتع بحياة الزوجية الدافئة ككل اضرابه من ابناء الذوات المترفين ، ولكنه استقبل الحياة يوم ان استقبلته الحياة وهو يصرخ فى وجهها : خلقت للجزائر وسأعيش للجـزائـر ·

ادخله والده احد الكتاتيب القرآنية وهو في الخامسة من عمره فحفظ القرآن على الشيخ محمد الماداسي ، ثم درس العلوم الدينية في قسنطينة على الشيخ حمدان الونيسي ٠ وقد كان يحذره من الالتحاق باي وظيفة ٠ وهي اغلى نصيحة سمعها في حياته ٠

ارسله والده مصطفى الى تونس لياخذ نصيبه الاوفى من المعارف فعكف على التحصيل واتم دراسته سنة 1908 حيث تحصل على الشهادة العليا ــ العالمية من جامع الزيتونة بعد شهادة التطويع ثم رجع الى قسنطينة ٠

محمد بخيت في مصر اجازة العالمية ، وفي رحلته هذه التقى في الحجاز بكل من وسافر الى البقاع المقدسة سنة 1912 لاداء فريضة الحج وطاف بالاقطار العربية سوريا ولبنان ومصر واتصل بعلماء هذه الاقطار ٠ واجازه المرحوم الشيخين البشير الابراهيمي والطيب العقبي ، حيث كان الاول مدرسا بسوريا والثاني بالمدينة ، وهناك اتفق الثلاثة على القيام بحركة اصلاحية بالجزائر لانقاذ الامة من براثن مشائخ الطرق الصوفية الذين سخروا الجزائر لفائدة المستعمرين بنشر الضلالات والاوهام وتخدير العقول

وبمجرد رجوع ابن باديس الى قسنطينة سنة 1913 انتصب بالجامع الاخضر للتدريس والدعوة للاصلاح ٠ فكان يقوم بالقاء (12) درسا يوميا ٠ وقد ابتكر طريقة جديدة لتفسير القرآن كان ابتكر مثلها الشيخ رشيد رضا بمصر ٠

والى جانب اجتهاده في الحقل الاصلاحي فتح واجهة جديدة للكفاح القلمي فانشأ بقسنطينة جريدة المنتقد سنة 1925 قامت بحملات صادقة ضد سياسة فرنسا التعسفية بالجزائر واذ لم يتسع لها الجو السياسي المتعفن لفظت انفاسها على يد ــ ميرانط ــ مدير الشؤون الاهلية في العدد الثامن عشر منها ٠ وخلفتها جريدة الشهاب يوم 12 نوفمبر سنة 1925 ثم تطورت الى مجلة يوم 23 اوت سنة 1926

كان من البديهي ان تتضايق الحكومة الاستعمارية في الجزائر من هذه الحركة وان تعتبرها ــ كما هي في الواقع ــ حركة خطيرة ترمي الى تحرير الافكار والعقول من الاستعمار العقائدي المريع الذي ظل ردحا من الزمن يحجب العيون عن المعرفة والحقيقة والنور ، ويصد النفوس التي تنهشها المخاوف بانيابها عن الانطلاق وراء حياة سعيدة وعيش كريم ٠

صمد ابن باديس الصنهاجي امام كل معارضة ٠ ووقف ساخرا من الاحداث في نخوة وكبرياء يردد ذلك الصوت الذي يجلجل في اعماقه ٠

« تستطيع الظروف ان تكيفنا ولكنها لاتستطيع ابدا ان تقهرنا »

تلك هي الكلمة التي يقتات منها عقل عبدالحميد والتي كان على ضوئها يسطر ـ مهما امعن الاستعمار في اعناته والكيد له الا ازداد حماسا وانبعاثا • فاذا ما عصرت قلبه الآلام ـ وداعبت روحه الآمال الفساح ـ حدج الاقدار العاتية بعينين تبرقان كالقبس ونظر الى الافق اللازوردي الحالم في احضان اللانهاية وقـال :

« ان جميع الابواب يمكن ان تغلق امامنا ولكن بابا واحدا لن يغلق ابدا • هو باب السماء •»

واخيرا انتصرت كلمة الاصلاح على ذبذبة العملاء المخاذيل ، وظهر الحق على الظلم والطغيان ـ وسكنت تلك الاصوات النكراء المحمومة • وانطلقت الفكرة الاصلاحية الـوطنية في لهفـة وسعورة • وانبعثت كالقذيفة المجنونـة تشق طريقها لتنفجر ، فاذا بجمعية العلماء تبرز من ركام دخانها كالعملاق ! ـ

وهذه جريدة « السنة » تبرز باسم الجمعية يـوم 12 نوفمبر 1933 لتحمل رسالتها الى المجتمع الاسلامي العربي عامة والى الجزائر خاصة ، واذا بالحكومة تختصر اجلها بعد 12 عددا آخرهـا في ربيع تلك السنة • لـم تقف الجمعية مكتوفة الايدي ازاء هذا التعطيل الذي اصبح عادة رتيبة • فاصدرت جـريدة « الشريعة » يوم 24 من نفس الشهر فكان لها نفس المصير حيث عطلتها الادارة بعد ستة اعداد • وخلفتها جريدة السراط يوم 11 سبتمبر 1933 • فبعثت بها الحكومة الى مرقدها الاخير بـعد العدد السابـع ثـم امتنعت الادارة عن الترخيص للسيد احمد بوشمال باصدار جريدة جديدة •

وقد كان مديرا لجميع جرائد الجمعية • فكان الشيخ محمد خير الدين هذه المرة مديرا لجريدة « البصائر »وصدر عددها الاول بعاصمة الجزائر يـوم 27 ديسمبر سنة 1935 ثم اسندت ادارتها الى مؤرخ الجزائر المرحوم الشيخ مبارك الميلي ابتداء من عددها 48

كانت هذه الجـرائد الى جـانب نادي الترقي بالجزائر • ميـادين فسيحة استطاع ان يقدم فيها ابن باديس ومن ورائه جمعية العلماء ـ بخوض معركة الحياة الطاحنة وان يواكب الحـركة الاستقلالية المتبلورة في « حـزب نجـم الشمال الافريقي » ثم حزب الشعب من بعده وان تولد بعد كل ذلك من اعماق الغيب جزائر جديدة عرفت كيف تعرب للعالم عما يصرخ في عروقها ويصخب في كيانها : بلغة غير اللغة التي اعتاد الاستعمار تاويلها وتحريفها • لغـة جديدة واضحة لاتقبل التاويل : لغـة الحديد والنار !

ماكان لعبد الحميد ان يغتر بمناورات سافـرة دبرت حوله ابـان الحرب العالمية الثانية ـ ليقول كلمة تاييد لفرنسا وحلفائها ضد الالمان ، انه لايثق بالاستعمار ولايطمئن لرجاله • هو يرتاب حتى في كلمة الشهادة اذا طلب اليه المستعمرون ان يقولها :

« اما والله لوقالوالي قل : لا اله الا الله لما قلتها •»

ذلك هو عبد الحميد ابن باديس فى ايمانه ٠ ذلك هو ابن باديس فى شخصيته وتضحيته النفيسة الفذة ـ ذلك هو اب الجزائر فى جهاده ـ وهذه هى صيحاته المدوية يلقيها فى صدر الزمن ٠

هذا لكم عهدى به حتى اوسد فى الترب
فاذا هلكت فصيحتى تحيا الجزائر والعرب

لقد التحق ابن باديس بموكب الخلود فى جوار ربه فى يوم 16 افريل قبل عشرين سنة ، ولفظ انفاسه الاخيرة مبتهلا :

« رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين »

وكان الخضم الزاخر من الشباب الجزائرى يسير فى خشوع وراء جثمانه الطاهر وهو يقول : لقد كان عبد الحميد هو الجزائر ـ والآن على الجزائر ان تكون هى عبدالحميد



الشيخ المصلح عبدالحميد بن باديس رحمه الله

بريد القراء

شعرنا القديم والمعاصر

بقلم : **ناجية ثامر**

كثيرا ما طالعت قصائد شعرية من يراع الشبان من مختلف الانحاء والبلدان ولاحظت بأن الحزن يخيم على اكثرها ويطبعها الاسى ، وكل شاعر قرأته ـ فيما عدا القليل ـ يحاول انيعبر عما يكتنف عواطفه منشتى الانفعالات ازاء هجر الحبيب وصده ، وتذمره وعذابه من قسوته وعدم وفائه بوعده ... ولو ان الشاعر منهم يعبر عن خوالج نفسه والآمه بسبب هجر الحبيب بقصيدتين او ثلاث او اربع ويكتفي للانتقال لمواضيع أخرى ان لم تمس المجتمع فعلى الاقل تمس مشاعر اخرى من النفس تحفر فيها مختلف الاحداث اخاديد عميقة الغور فتجعل القلم المعبر ينتقل ما بينها معبرا عنها بشتى الصور والاراء ...

شعراء مشوا من بداية الطريق فى هذه السبيل ولايزالون يستأنفون السير ومعذرة ان لم اورد الاسماء فهى كثيرة ..

ولعل ذلك راجع لتنقلهم من حب الى حب ومن غرام الى غرام ، وفى كل مرة يرميهم كيوبيد بسهمه ويجعلهم يعاودون التجربة وينفعلون بها ويعبرون عنها بابيات شعرية تمت الا الاوزان القديمة او الحديثة.

فاذا هم يتنقلون من خيبة الى خيبة فيجترون بالشكوى ويهتفون من اعماق قلوبهم للتعبير عما يحيط افئدتهم من بؤس وحزن عميق من ظلم الحبيب .. اجل ، ان هناك اقلاما تتنقل من موضوع الى موضوع وتصور مرائى عديدة وحوادث شتى تتفاعل بها نفوسهم منفردين أو مشاركين مجتمعهم فى مواقف شتى مختلفة تنعكس عليها صور العهد الذى يعيشون فيه بمختلف مشاكله وحوادثه ... ولكن هذه الاقلام قليلة بالنسبة لغيرها التى لم تجرب من الزمن الا تجربة الحب ، ولم تتعذب وتلق الهوان الا من جراء الصد والهجران ورجعت بفكرى الى الزمن البعيد ، الى ما قبل عشرات السنين لأسترجع اشعار الشعراء الفطاحل الاولين ، واتذكر بأن اكثرهم كانوا ينظمون فى الفخر والمديح والرثاء ، والقليلون منهم كانوا يتخذون من الشعر مطية للتعبير عما يخامر قلوبهم من فرح بلقاء الحبيب ومن شكوى مستمرة لكثرة هجره وتدلله ، ويكرسون نفوسهم له ...

فهل هذا عائد لتحجر قلوبهم آنذاك وعدم شعورهم بالحب ، أم انهم كانوا يخجلون من الجهر بعواطف يعتقدون انها ملك لهم ، ولا يحق لاحد أن يطلع عليها ويحافظون عليها كسر خطير يحرسونه ويخشون عليه من غائلة الاعين ؟. ام انهم كانوا يعتبرون ان التشكى من صد الحبيب صنف من العار

ان يصرحوا به ، وان نفوسهم القوية لاترضى بالتذلل والاباحة وافشاء اسرار عاطفية لاتهمهم الا وحدهم ؟٠٠!

واليوم نرى ان الآية انقلبت فكثر شعراء الغزل حتى بين النساء ، ولم تعد للعواطف حرمة عند اصحابها واصبح من حق كل انسان الاطلاع عليها ، فكرسوا شعرهم للتعبير عن الفرح بالوصال والترح لدى البعد والانفصال واصبحت هذه العاطفة هى المشكلة الوحيدة التى تسيطر على افكارهم وتنشىء حجابا كثيفا ما بينه وبين مشاكل اخرى تسيطر على حياة الافراد والجماعات وتجعلهم يعيشون لانفسهم فحسب ، وحين ينظمون شعرا فلكى يعرف الناس ماخفى من اسرارهم وعلاقاتهم الغرامية وحوادثهم العاطفية ٠ وكان الشاعر من قبل حين يأتى بذكر الحبيبة لابد أن يتنقل من بعد لاشياء أخرى تتصل بحبه ونسبه واحداث زمانه

انا محيوك يا سلمى فحيينا ... وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا
انا بنى نهشل لاندعى لأب ... عنه ولا هو بالابناء يشرينا
وليس يهلك منا سيد ابدا ... تلق السوابق منا والمصلينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة ... الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع انفسنا ... ولو نسام بها فى الامن اغلينا
اذا الكماة تنحوا ان يصيبهم ... حد الظباة وصلناها بايدينا
ولا ترى وان جلت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا

افلا تهز هذه الابيات الانسان هزا اكثر مما تهزه ابيات وصف جمال العيون والغزل والتشكى من الجفا والدلال ؟٠٠ لقد كان الشعراء ايام وصلت الامة العربية الى سامق المجد ، ونالت الفتوحات تلو الفتوحات وانتشت بالانتصارات تلو الانتصارات ، يتباهون بكرمهم وبطولتهم وسخائهم وعفتهم ويبذلون جهودهم ليجعلوا اسمائهم بعيدة كل البعد عن العار ، تجللها اكاليل العز والفخار ، فلا يكاد يذكر احدهم اسم الحبيبة حتى يتنقل الى ذكر المجد والبطولة والاباء !٠٠

أجل ، لقد كان هناك عمر بن ابى ربيعة وابو نواس وغيرهما ولكنهم كانوا معدودين من الشعراء الماجنين الذين لا يأنفون من التشبيب وفضح الاسرار للمتاجرة بها كما يتاجرون بالبضائع والمواد ، ويتندرون بسردها

وهذا المتنبى الذى لايزال مالكا لقلوب الكثيرين من قراء الشعر العربى ، فلقد انف ان يذكر ولو قصيدة واحدة فى الغزل على كثرة قصائده وتعدادها٠٠ كان العرب منتشين بالفتوحات مزدهين بخصالهم الحميدة يخوضون المعارك فى سبيل اوطانهم وينظرون للموت نظرة سخرية وازدراء :

اقــول لهـــا وقد طارت شعاعـــا من الابطـــال ويحـك لن تـــراعى
فانــك لــو سألـت بقــاء يــوم على الاجل الذى لك لن تطاعــى
فصبرا فى مجال الموت صبــرا فمــا نيل الخلـود بمستطــاغ
ولا ثــوب البقــاء بثوب عــز فيطـوى عـن اخـى الخنـع اليـراعى
سبيـل المـوت غاية كـل حــى فداعيـــه لاهـــل الارض داعـــى
ومـــن لايعتبـط يسـأم ويهـــرم وتسلمــه المنـــون الى انقطـاع
ومـا للمــرء خيــر فى حيــاة اذا ماعـــد من سقط المتـــاع

ثم اخذت اركان الامـة العربية تتداعى وتفتتها الازمات والحـدثان وتقهقر الشعراء للانكماش داخل قماقم لاينطقون منهـا الا بمـا يصيبهـم مـن شر وعدوان ، وبعضهم يعلن عن يأسه فى الحياة لا لشى سوى لان الحبيب ضـن عليه باللقاء ، وآخرون يصفون الجمال النسوى حسبما يسمحه لهم خيالهـم الشعرى ليعلنوا بأنهم ينفذون بالجمال ويحيـون بالوصـال ويقضـون أسى بالنفور والهجـران

فأين مما تقولـه ام الصريح الكندية :

ابــوا ان يفــروا والقنـا فى نحورهم وان يرتقوا مـن خشية المـوت سلما
فلو انهـم فــروا لكانـــوا اعـــزة ولكن رأوا صبـــرا عـلى الموت اكرمـا

مما تخطه اقلام النشىء الحديث عن الجنس وعن وصف علاقات غراميـة وكان حياة المرء مرتبطة بغريزته الحيوانية التى لاتعرف السعادة الابدية الا عن طريق ترضيتها بكل الوسائل ، واين ليلى العامرية التى تقول للامير ابـن عوف الذى اتى ليطلب يدها لقيس الذى كانت تحبه من اعماق قلبها :

. . . . انـــــه منـى القـلب او منتهـى شغلـــه
ولكـن اتــرضى حجـابـى يــذال وتمشـى الظنـون عـلى ســدلـه
ويـمشى ابــى فــيقض الجـبين وينظـر فـى الارض مــن ذلـــه
يـــدارى لاجـل فضـول الشيـوخ ويقتلنـى الفـم مـن اجلـــه
يمينـــا لــقيت الامـــريـن من حمـاقـة قـيس ومـن جهلـه
فضحت بـه فـى شعـــاب الحجاز وفـى حـزن نجـد وفـى سهلـه
فخـذ قيس يـاسيـدى فـى حمـاك والـــق الامـــان علـى رحلـه

من الشاعرات الحديثات اللاتى يذكرن بدون خجل خلانهن ويصفن فىابياتهن الشعرية حرارة القبلات ؟٠٠

اجل ، لقد هبطت الامة العربية من حـالق وشتت شملهـا الاستعمـــار وتناهبتها الفتن والاحـداث ، انقلب شعر المجد والفخر والبطولـة ووصف الجود والكرم الى غـزل رخيص للمتاجرة فى السوق ، ولم يعد للشاعـر من شاغل الا انتصاراته الغرامية وفوزه فى ميدان الحب ٠٠

وما اكثر الـذين يتباكـون ويتذللـون ويمرغون رؤوسهم تحت اقـدام الفاتنات ، ويجعلون همهم الانتصار فى ميدان الحب فاذا فازوا فيه سعدوا ، واذا خابوا بكوا وتألموا ويئسوا ·· وبعد أن كانت المرأة ترفض الرجل الذى يتشبب بها فى اشعاره رغم حبها له لان ذلـك يلبسها عـارا لايمحـى ، اذا بأمرأة اليوم تتشبب بالرجل وتصف علاقتها معه بدون اى تحرج ·· بينما كان الشاعر من قبل يتغنى ويقول :

اذا المرء لـم يدنس من اللوم عرضه ... فكـل رداء يرتديـه جميـل
ان هو لم يحمل عـلى النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثنـاء سبيـل
تعيرنـا انـا قليـل عديدنـا ... قئـول لـما قـال الكرام فعـول
صفونـا فلـم نكـدر واخلص سرنا ... انـاث اطابت حملنـا وفحـول
فنحـن كماء المـزن مافى نصابنا ... كـرام ولا فينـا يعد بخيـل
اذا سيـد منـاخـلا قـام سيـد ... قئـول لمـا قـال الكرام فعـول

نجده اليوم يتغنى بالليلة التى قضاها مع معشوقته ، ويبكى حزنا واسى ان هى لم تحضر فى موعده معها ، وتعلن عزمها على فرقته

واذا شئنا أن نعزى نفوسنا رجعنا لنذكر ابيات شعرائنا الاقدمين الفطاحل لنملا منها خـواء قلوبنا ···· لقد فطن شاعرنا الفذ ابو القاسم الشابى الى مايحيق بالشعوب العربية من تحلل وخنوع تعودتهما من الاستعمار الذى خنق عزة النفوس الابية بكلابته الحديدية فهتف :

ايهـا الشعـب ليتنى كنت حطابـا ... فـأهـوى عـلى الجـذوع بفـأسى
ليتنى كنـت كالسيـول اذا سالـت ... تهـد القبـور رمسـا بـرمس
ليت لى قـوة العـواصف يـاشعبى ... فالقـى اليـك ثـورة نفسى
انت فى الكـون قـوة كبلتهـا ... ظلمـات العصور من امس امس
والشقى الشقـى مـن كان مثـلى ... فـى حساسيتـى ورقـة نـفسى

فلتصف القلوب ، ولتسم الاخلاق ، ولنستعد الخصال العربية الكريمة التى كان اجدادنا يتمسكون بها اكثر من تمسكهم بالحياة ··

ولتنطلق الالسنة ببديع القول فواحة بعطر العزة والكرامة ، والاستعداد للدفاع عن الشرف حتى الموت · فكفانا من البكاء من صد الحبيب وهجره ، فكل انسان يحب بالغريزة وهذا أمر يهمه وحده ، ولكن لايكـون الانسان كاملا الا بعد عمل متواصل ومجهود شاق ·· ولتتصاعد اغاريد المجد والكرامة والوفاء ·· ولننسج لنكون كما قال شاعرنا القديم بصدق ويقين :

صفـوفـا فلـم نكـدر واخلص سرنا ... انـاث اطابت حملنـا وفحـول
فنحـن كماء المزن مافى نصابنا ... كـرام ولا فينـا يعـد بخيـل
اذا سيد مناخلا قـام سيـد ... قئـول لما قـال الكرام فعول

◆ دوامة التفكير

الليل ساكنة
والبحر منهمك
فى نومه الهادىء العميق
والكل نام
وانا اقلب ذكريات
مرت كاطياف الربيع
تهدهد القلب الوديع
مرت بأم الذكريات
كالبرق خاطفة
كالنور فى عين « النهاية »
هكذا كنت اقلب ذكرياتى « يانهاية »
هكذا كنت افكر وافكر
فى مصيرى والنهاية
بين عرقلة الحبال
بين اخشاب الخيام
زملائى الطلاب يطربهم
كل الذى (بالجامعة)
وانا افكر فى النهاية
كل الذى بالجامعة قد كان يطربهم
الناى والمزمار والوجه البهيج
وابتسامات على وجه الحبيب
وانا الذى وحدى كئيب
جسمى هنا « بالجامعة »
كالصخرة الصماء .. خرسى لاتجيب
فى روض يضحك للغروب
وورود ايقظها الشروق
هكذا وحدى كئيب
ولما كئيب ؟ ؟
قد غادرت بغداد احلامى وازهار الشباب
هناك سارحة
هناك راقصة ... لبحر (يافا والهدير)
فهناك احلامى راتعة هناك
سمراء انى فى الطريق

— جامعة بغداد — كلية التربية
الطالب احمد محمد قناص

• في هيكل ....

مازلت في اوج الفتوة والفتوة في غرور
وعواصف الحب الغريب تؤرجح القلب الأسير
مازلت احيا شاعرا في خيمة الشعر البديع
احيا مع الالهام في سهل الحياة مع الربيع
في جنة الازهار والنحل الجميل مع الحبيب
في خيمة الحب الرفيع مع الجمال بلا رقيب
فأقهقه ملء الربى ملء الصدور مع الطيور
فأنا هنا مترنم بالشمس والكون النضير
بالسهل بالوادى وبالانغام في غاب القرون
في هيكل الايام احيا صامتا صمت السكون
يا ربة الاحلام كم بين الهياكل من أسير
يا ربة الشعر البهيج ثوى الكئيب بلا مصير
فبكته اشجان الفؤاد مع الطيور بكا مرير
في الغاب والشجر الجديب على الصخور مع الحرير
وبكته انسام الضحى وبكاه عشاق الزهور
وبكته حملان القطيع فرددت اذن الأثير
في الليل ابكى ثم ابكى جاهلا روح الالاه
فأنظم الشعر الذى جاشت خواطرى في بهاه
وارتل انغامه وحدى على الصخر المخيف
متأملا في حيرة في سكرة : انى مخيف ! ؟

صالح الخوجة

• السيد عثمان شيبوب :

لانجد في موضوعك ـ رغم ما بذلته من جهود ـ تفكيرا واضحا تبرز فيه الاراء بروزا كافيا ، اما تحليلك فهو بعيد عن الموضوعية ، وتعريفك لمعنى « القومية » و « الوحدة » غامض كل الغموض .

اضواء الفكر

• **أمـة تنشىء الحيـاة وتبنـى**

قوة حية تجلت بدار الشغالين فى مستهل الشهر الفارط أثناء المؤتمر القومى الثامن للاتحاد العام التونسى للشغل (1) فلقد برهن النقابيون فى مدة ثلاثة أيام أحسن برهان عن حيوية منظمتهم وادائها لرسالتها على ضوء اتجاه سديد ومبادىء سليمة تشبعت بها منذ نشاتها وفى عهد المحنة والكفاح

« فالاتحاد » واع كل الوعى من حكمة سياسته التى تهدف فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن الى التضامن مع كل ذى نية حسنة داخل البلاد وخارجها كى تتدعم دولتنا الفتية على أركان متينة وأسس عتيدة تضمن لها كيانها وتحقق لها حرمتها فى صف الدول الحرة المستقلة

و « الاتحاد » متمسك اشد التمسك بسياسة التعاون لاتمويها ولاذرا للرماد على العيون بل حرصا على تعزيز شعورنا جميعا باننا من وطن واحد وابناء امة واحدة واعضاء جسد واحد

و « الاتحاد » يدين بهذه الوطنية الصميمة التى تتمثل فى هذا الشعور بوحدة كافة عناصر الشعب وبالانتساب الى وطن واحد ودولة متماسكة الحلقات متفاعلة الاعضاء متعاملة الاجزاء متينة القواعد صلبة الاساس

ومتى التحم هذا الشعور التحاما وانغرست فى النفوس روح التضامن والاخوة تمخضت من ذلك عقلية حية تضمن للدولة قوة وعزا وللشعب تقدما وازدهارا

وانما التقدمية الصادقة فى تنمية هذه العقلية للقضاء على اسباب الفتنة ودواعى الضعف والسقم فى هيكل الدولة ولوقاية المؤسسات الحرة من الخلل والانحلال ولحماية الامة من التلف والهلاك

و « الاتحاد » متمسك بسياسة التعاون لاحرصا على تدعيم المؤسسات السياسية الحرة فحسب بل سعيا حثيثا ايضا الى بناء مؤسسات اجتماعية واقتصادية حرة تساعد على تشييد وضع اشتراكى حقيقى لفائدة كامل عناصر الشعب

فهذه الاشتراكية متى وضعت وضعا واقعيا لمصلحة كل المواطنين حققت ما نصبو اليه جميعا من نهضة جبارة وتقدم اجتماعى سريع وسعة اقتصادية تقضى على داء التخلف ومظاهر العوز والبؤس

ولقد دل « الاتحاد » باشعاعه ونشاطه فى حقل الحياة العامة وبنجاح

1) انعقد المؤتمر الثامن للاتحاد فى 1 و 2 و 3 افريل 1960

مشاريعه الاقتصادية والاجتماعية (2) عن سداد اتجاهه وحكمة سياسته

ولقد برهن « الاتحاد » بمواقفه الرشيدة عن صدق العمال واخلاصهم عن وعيهم ونضجهم مهما كانت ظروف الكفاح لاسيما ان الاستعمار لم يزل قائما لنا بالمرصاد عدوا غاشما على حدود ارضنا وفي رقعة من ترابنا يتهدد استقلالنا ويعرقل ثورتنا

صدق واخلاص وعي ونضج تعاون وتضامن منظمة حرة مستقلة حرية وديمقراطية نهضة وتقدم ليست هي الفاظا نلوكها لوكا او نتشدق بهـا بهتانا فكل نقابي قد تغذى بمبادىء الاتحاد وآمن برسالته يعبر بهذه الالفاظ عن معان سامية ويبلغ عن مثل طاهرة لايكافح لها فحسب بل قد يموت في سبيلها تضحية وتفانيا

◆ **ملتقى الشباب الافريقي**

انعقد بتونس من 11 افريل الى 19 منه ملتقى للشباب الافريقي وكان هذا الملتقى فرصة لاتصال الشباب التونسي بالشباب الافريقي كما ان هؤلاء امكن لهم التعرف الى اهم قضايانا وذلك بفضل الزيارات القليلة الخاطفة لبعض المدن التونسية او بفضل المحاضرات التي كان لها القسط الكبير في تنشيط المؤتمرين وتمكينهم من « عض » الواقع التونسي خاصة والافريقي عامة • ذلك ان محاضرة الهادي النويرة عضو الديوان السياسي في تصفية الاستعمار ومحمد مزالي مدير الشباب والرياضة في واقع الشباب التونسي ودوره في بناء الوطن واحمد التليلي الكاتب العام للاتحاد العام التونسي للشغل في مصير النقابات في افريقيا وفتحية مزالي من الاتحاد النسائي التونسي في دور النساء الافريقيات كل هذه المحاضرات لابد انها قد فتحت آفاقا للشباب الافريقي وجعلته يفهم واقعنا ويقدر جهودنا في اصلاح ما ورثناه عن وضع قديم فاسد • اضف الى ذلك محاضرة محمد يزيد عن الشباب الجزائري ومحجوب بن الصديق عن التطور الاقتصادي في افريقيا ومحاضرة بل مناقشات ديالوسيدو المغتصبة الحادة • الصاخبة فيما يخص دور النقابة ومصيرها كل ذلك قد يجعل الشبان المؤتمرين يفتحون أعينهم الى مشاكل افريقيا الصاعدة وقد يمكنهم من التعرف الى وضعها الحقيقي لو تمكنوا من جميع وسائل العمل كنشر المحاضرات وتوزيعها على المؤتمرين

وقد اقتبل المؤتمرين رئيس الجمهورية السيد الحبيب بورقيبة وتحادث معهم فردا فردا واوضح لهم كثيرا من النقط التي لم يتمكنوا من التعرف اليها اثناء الملتقى واخيرا فقد ختم هذا الملتقى جلساته بالاقتراع على جملة مقررات تستنكر بعضها سياسة الاستعمار في افريقيا والتجارب الذرية الفرنسية والتمييزالعنصري وتدعوالاخرى الى بعث افريقيا جديدة عاملة متحررة

(2) يمكن لقراء المجلة الاطلاع على تقارير النشاط بطلبها من دار الاتحاد وبمراجعة مجلة « الشعب »

* نشيد المخيم الكشفى الرابع

نظمت لجنة اعداد المخيم الكشفى العربى الرابع مسابقة بين الشعراء لاختيار النشيد الرسمى لهذا المخيم الكشفى العظيم الذى سيقام فى غرة اوت القادم بالجمهورية التونسية وقد فاز الشاعر أحمد المختار الوزير الذى يعرفه قراءمجلة الفكر ويقدرون انتاجه ، ونحن اذ نهنيء الصديق الشاعر ننشر له قطعته الرائعة تتميما للفائدة

يـا شباب الملتقى ، أكـرم بكـم بسم الشرق ، لكـم ، والمغرب
ارفعـوا أعلامكـم تزهـو بهـا خيمـة المجد ، وهـذا الموكب

❀ ❀ ❀

تونس الخضراء حمانـا سهبهـا وروابيهـا ربيـع مخصـب
نحـن ، فى أفيائها ، الـف اخـا نحـن ، فى عليـا سماها ، شهب

ياشبـاب الملتقـى أكـرم بكم

خيمة الكشاف ، هـذا موعـد رابـع يسعى ، اليه ، النجـب
اخـوة ، فى ملتقانـا ، حسبنـا الـولا يجمعنـا والادب

يا شبـاب الملتقى أكرم بكـم

نحـن فتيـان المروءات التى خلدتهـا ، فى بنيها ، العـرب
عزمـة صدق ، وفكـر مبـدع ويـد بيضا صنـاع عجـب

يـا شبـاب الملتقى أكرم بكـم

بوركـت شعلتنـا مـن شعلـة وزكـت أنوارهـا ، واللهـب
فسناهـا ، للامانـى ، كوكـب وهـداها ، للمعالى ، مذهـب

ياشبـاب الملتقـى أكـرم بكـم

هذا وقد علمنا ان اللجنة المكلفة باعداد هذا الملتقى نظمت مسابقة اخرى بين اساتذة الموسيقى بالجمهورية التونسية لتلحين هذا النشيد ووضعت لها الشروط الآتية

1) يجب أن يكون النشيد قابلا للعزف بالآلات النحاسية
2) أن يكون على وزن الخطوة
3) أن يكون ذا طابع تونسى
4) أن يكون التلحين مرقوما بالسلفاج • وأن يسجل على شريط من طـرف الملحن أو مغن يختاره وذلك بدار الاذاعة الوطنية

ـ تحتفظ لجنة التحكيم بحق تغيير المشروع المقدم

يجب على المتسابقين أن يقدموا تلحينهم طبقا لما جاء فى الفصل الرابع مـن شروط المسابقة وفى طرد مختوم عليه عنوان لجنة اعداد المخيم الكشفى العربـى الرابع 20 شارع باريس ـ تونس ـ وآخر أجل لتقديم العروض والتسجيلات هو يوم السبت فى 30 أفريل 1960 عند الزوال

ـ يمنح الفائز جائزة مالية قدرها خمسون دينارا

◆ انتشار تعليم اللغة الالمانية فى الاقليم المصرى

اخذت تغص المانية الغربية خلال الاعوام الاخيرة بالآلاف من طلاب العلم من الاقطار الافريقية والآسيوية كما هو الحال فى انجلتره وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، مما ادى الى رفع عدد الذين اخذوا يقبلون على تعلم اللغة الالمانية فى المانيا والخارج • وقد تجلت هذه الظاهـرة فى الاقليم المصرى بصورة خاصة ، حتى انـه بلغ عـدد التلاميذ الذين يدرسون اللغـة الالمانية فى مدارسها 2200 تلميذ • وقد تقرر رفع عدد فصول اللغة الالمانية فيها فى المستقبل ، ورسم فى برنامج التعليم ان يجرى تدريس اللغة الالمانية فى 120 مدرسة من المدارس المصرية كمادة الزامية • ويقبل الآن عـدد كبير من طلاب المعاهد المصرية العالية على تعلم اللغة الالمانية ، لقصد المانيا فى يوم ما والتخصص او التمرن فيها • وتدرس اللغة الالمـانية فى الازهر الشريف ايضا ، وتعنى مدرسة الالسن بالقاهرة بتدريسها بصورة خاصة ، حيث فيها اعداد المترجمين المتهنين او المترجمين الذين يعملون فى سلك الدولة اويشتغلون فى فرع الاقتصاد • وقد اعدت فصول لتعليم اللغـة الالمانية لرجال الجمارك ومـوظفى مكاتب الجوازات السفرية فى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد • ويبلغ عدد المصريين الذين يتعلمون الالمانية فى الوقت الحـاضر نحو 7 آلاف مصرى • وقد تقدمت الآلاف لتسجيل اسمائها فى فصول اللغة الالمانية حتى الآن • وهناك ازمة كبيرة فى عدد اساتذة تدريس اللغة الالمانية • وتوجد فى القاهرة مدرسة المانية للبنات واخرى ثانوية للذكور ، وقد اعـدت فى هذه الاخيرة فصول ليلية لتعليم الالمانية لكبار التلاميذ • ويقوم معهد جوته الالمانى بالسهر على تقدم حركة الثقافة واللغة الالمانية فى الاقليم المصرى ، ويستعين حاليا بـ 25 مدرسا المانيا هناك • وقد دعا المعهد المذكور 125 استاذا مصريا لالمانيا الغربية لاعدادهم فيها لتدريس اللغة الالمانية بمصر فى المستقبل •

◆ الارواح تساهم فى « تحرير » افتتاحيات احدى الصحف الايطالية

دانتى ونابليون وشكسبير من جملة المحررين :

هل يتصور الانسان بان نابليون اصبح يحرر الافتتاحيات فى الصحافة عن الحرب الذرية ؟•• وان دانتى وميلتون وشكسبير يساهمون فى الكتابة عن فن الشعر والمسرح ؟•• وان كبـار الشخصيات الاخرى التى غـادرت هذا العالم مثل ماركونى مخترع اللاسلكى ، والعالم الطبيعى نيوتن ، وروزفلت اخذوا يطلون على هذا العالم من نافذة الصحافة ، وصار يحرر كل منهم فيهـا فى ميدان اختصاصه على حدة ؟•• اجل هذا ما يحدث الآن فى احدى الصحف الايطالية التى اصدرها البروفسور الايطالى فى روما قبل 12 عاما لكى تنطق بلسان هـواة استحضار الارواح ، بعد ان اطلق عليهـا اسم « اوررا » اى

شفق الفجر • وتعتبر هذه الصحيفة بمظهرها ومواضيعها فريدة فى عالم الصحافة • فهى لا تطبع بالاحرف السوداء على الورق الابيض كالمعتاد ، بل بالعكس فان حروفها بيضاء وورقها اسود « حتى تستطيع الارواح قراءتها فى ظلام الليل » • وقد عرضت هذه الصحيفة الآن فى متحف الصحافة الدولى الموجود فى مدينة آخن بالمانيا الغربية •

وقد اسس البروفسور ستوبولانى الذى كان يدرس الطب البيطرى فى احدى جامعات ايطاليا سابقا ، اسس صحيفته هذه فى عام 1948 ، والحق بها ثمانية من المحررين الاحياء ومثلهم من الموتى • وارتفع هذا العدد بعدها الى ان بلغ 24 عضوا ولكن مات نصفهم بعده • غير ان ذلك لم يحل دون متابعة اشراك المحررين المتوفينفى تحرير صحيفة « اورورا » • ويشرك الاعضاء المتوفون فى التحرير عن طريق تنويم وسيط تنويما مغناطيسيا فيقوم بدوره بالقاء الاسئلة عن المواضيع التى تقصد معالجتها فى العدد الجديد ، على ارواحهم فى العالم الآخر • ويأتى الرد منها بطريقة النقر على طاولة خاصة باستحضار الارواح ، فتلتقط هذه النقرات اذن سكرتيرة ماهرة وتضرب معانيها على الآلة الكاتبة فورا • ويقوم بعد ذلك احد الاعضاء الاحياء بضبط النص والتعليق قبل ارساله نهائيا للطبع ، فتصدر الجريدة بعدها وهى تحمل فى افتتاحياتها ما تبديه ارواح كبار الشخصيات العالمية المتوفية او آراء اعضاء تحرير الجريدة المتوفين •

وقد اشتهر الايطاليون بسرعة التصديق بالخرافات ، ولهذا فقد اصبح للصحيفة المذكورة الكثيرون من الاتباع ، ولكن هناك فريقا لايثق بما ينشر فيها ولايحمله على محمل الجد • وقد ورد فى جريدة « اورورا »مرة بان الشاعر الايطالى الشهير دانتى الذى مضت على وفاته مئات السنين ، قد اتصلت روحه بادارة الجريدة وذكرت بانها تريد ادخال التعديل على القطعة التى الفها الشاعر باسم « الكوميديا الالهية » باضافة « سعير مركزى » الى طبقات السعير التسع التى ورد ذكرها فى هذه القطعة ،لكى يصلى نارها مستخدمو القنابل الهيدروجينية وتتم بذلك معاقبة حمق الانسان • اما شكسبير فقد « كتب » بانه جاد فى اخراج دراما جديدة فى العالم الثانى بعنوان : «حلم فى احدى ليالى الشتاء » • و « عبر » نابليون عن سروره لكونه قد طواه الموت منذ زمن طويل ، لان الفنون الحربية العصرية التى صارت تستخدم فيها الاسلحة النووية اصبحت لاتناسب مشربه • واما روزفلت ، فقد اجاب عندما سئل عما اذا كان يحبذ الآن تنشيط العلاقات الودية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى مثلما كان يسعى اليه فى ايام حياته • اجاب فى عبارة بالانجليزية تفيد عدم المبالاة بهذه الناحية •••

• اقبال الطبقة الوسطى فى اميركا على الفن

تنفتح ابواب الفن على مصراعيها امام الطبقة الوسطى • وهو امر تؤيده التقارير الواردة من مختلف جهات البلاد وان اعوزته الاحصائيات المادية ، كما يشهد بصحته ما تشاهده المتاحف الفنية فى البلاد وكلها تشعر بازدياد اقبال الاميركيين على الفنون ورغبتهم بالحصول على بعض القطع الفنية الاثيرة •

وهذه الظاهرة الجديدة جاءت نتيجة منطقية لهذا التطور الذى طرأ على مناحى التفكير فى البلاد • كان معظم الاميركيين ينظرون الى الفن نظرة الاستمتاع بالاثر الفنى مصونا فى مجاميع المتاحف دون امتلاكه او الحصول عليه • صحيح ان بعض هواة الفن من الاثرياء عرفوا ان يكونوا لهم مجموعات لها شأنها ووزنها • غير ان الفرد العادى ذو الوسائل المحدودة كان يعتبر الحصول على هذه القطع الفنية من الامور العسيرة التى هى فى غير مكنته •

بالامكان ان يحصل المرء بيسر على نسخ من هذه الاثار الفنية بالالوان الجميلة فيتاح للفرد الاميركى ان يشبع والحالة هذه رغبته وتحسسه بالحاجة لقطعة فنية يزين بها منزله تكون رخيصة ومشوقة •

ومع ذلك فقد راح العديد من الاميركيين يتوقون الى امتلاكهم رسما فنيا نابضا بالحياة • وقد جاءت هذه الرغبة الصادقة نتيجة لهذا الوعى الفنى الذى نما بينهم فى اعقاب الحرب العالمية الثانية والذى يجب رده من جهة الى المزيد من اوقات الفراغ لديهم ومن جهة اخرى الى دخل العمال وكسبهم واجورهم الطيبة كما ان هذا الشعور مدين بظهوره وتفشيه فى مختلف طبقات المجتمع الاميركى للمجلات التى تعنى بالامور المنزلية وللرسامين الذين يتولون تحلية المنازل من الداخل ووشيها وتزيينها •

لم تكن المتاحف فى اميركا من نحو عشر سنوات سوى اماكن يخيم عليها الصمت والسكون يزورها الزائرون وكان على رؤوسهم الطير وقد امسكوا انفاسهم رهبة • افلم يصفها احد الامناء فيها بانها « اقرب الى الاضرحة » منها الى المتاحف • اما اليوم فقد تغيرت منها الحال وتبدلت بحيث اصبح المتحف محجة فنية وقطبا للنشاط الفنى بين الجماهير ، غير مقصور زيارتها على المثقفين ورجال الفكر • وقد اصبح الفن اليوم من الموضوعات التى تهتم لها الاسرة كالتعليم والتربية على السواء بحيث يشارك الوالدون ابناءهم حضور الصفوف والمحاضرات ومشاهدة المعارض والحلقات الفنية والمشاهد السينمائية التى تخطط لها دور المتاحف فلا عجب بعد ان يستحيل هذا الاهتمام الى توق ورغبة شديدة للحصول على الاثار الفنية •

والخطوة الاولى يخطوها هواة الفن وعشاقه هى شراء قطعة فنية يكون ثمنها مقبولا وفى متناول اليد كان لايتجاوز مثلا ١٠ دولارات يشيع امتلاكها الرضى فى نفس الشارى والاعتزاز بانه يملك اثرا فنيا اصيلا يحمل توقيع الفنان الذى صنعه •